منهج الشيخ

محمد الغزالي

في

تناول مسائل العقيدة

تأليف

د. وصفي عاشور أبو زيد

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسم الكتاب: منهج الشيخ محمد الغزالى
التأليف: د. وصفي عاشور أبو زيد
موضوع الكتاب: عقيدة
عدد الصفحات : 96
عدد الملازم : 6
مقاس الكتاب : 14 × 20
عدد الطبعات : الطبعة الأولي
الإيداع القانوني : 2014/2839
الترقيم الدولي : I.S.B.N.978/977/278/418/8
الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيع والنشر

مصر

dare[illegible]com
darelbasheeralla@gmail.com
ت : 01152806533 - 01012355714

1436 هـ
2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

ورقة بحثية شارك بها الباحث في ندوة دولية بالمملكة المغربية، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان، بالتعاون مع مركز دراسات المعرفة والحضارة، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب، والمجلس العلمي لمدينة بني ملال، في موضوع: «**المنهج النقدي في القرآن الكريم والمراجعات الفكرية للتراث الإسلامي**»، أيام 20-21-22 جمادىٰ الثانية 1429هـ، الموافق لـ 24-25-26 يونيو 2008م.

❊ ❊ ❊ ❊

تقــديم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، وارضَ اللهم عن صحابته الطيبين الطاهرين: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾. [الأعــــــراف].

وبعد،

فإن الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب هي تحقيق توحيد الله بالربوبية، وإفراده بالعبودية، وإنهاء كل مظاهر الشرك التي وجدت في كثير من العصور: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء].

ولم تبدأ دعوة الإسلام من فراغ، كما لم يكن رسول الإسلام بدعًا من الرسل، بل كانت دعوته لقومه تتلخص في كلمة قالها في غير ما موضع: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» [1]؛ حيث عمل لها

(1) مسند أحمد: 38/ 224. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية.1420هـ، 1999م. حديث رقم: (23151). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وجاهد في سبيلها حتىٰ ترك الأمة علىٰ المحجة البيضاء، الليل فيها كالنهار، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وربىٰ النبي ﷺ أصحابه الأبرار علىٰ هذه العقيدة الصافية النقية لا يُعكِّر صفْوَها شيء، أو يكدر نقاءَها شغبٌ ولا خلاف، حيث شغلهم بالعمل عن الجدل، فآثروا ما فيه تطبيق وعمل وما يرجىٰ منه ثمرات للفرد والمجتمع علىٰ ما يقتضي النزاع والخلاف.

ثم عمل علماء المسلمين علىٰ تأسيس علم للعقيدة ـ كسائر العلوم ـ له أصول وأركان، وله مراحل تطور، وله مشكلاته التي من أبرزها ـ كما سيأتي في التمهيد ـ تكدير صفاء العقيدة بفعل علم الكلام وشغب الفرق الكلامية.

وقد هيأ الله ـ تعالىٰ ـ من العلماء والمصلحين في كل مرحلة من تاريخ الإسلام مَنْ قام بمهمة إعادة الصياغة وتنقية العلم مما شابه، وكان من بين هؤلاء الإمام الداعية، والمفكر المصلح المجاهد الشيخ محمد الغزالي، يرحمه الله رحمة واسعة.

وقد حاول هذا البحث أن يتتبع منهجية الشيخ في تناول مسائل العقيدة، ومعالم التجديد لديه في هذا الجانب، فوجد أنها علىٰ النحو التالي:

أولًا: التخفف من الجدل الكلامي في الدرس العقدي.

ثانيًا: مراجعة العلم من حيث الشكل والمضمون.

ثالثًا: استقاء العقيدة من نصوص القرآن والسنة.

رابعًا: الجمع في التناول بين إقناع العقل وإمتاع القلب.

خامسًا: الاستفادة من حقائق البحث العلمي في تعزيز الإيمان.

سادسًا: طرح موضوعات جديدة في باب العلم.

سابعًا: ضرب أمثلة مُحَسَّة من الواقع المعيش.

ثامنًا: تصويب معاني بعض النصوص والمفاهيم.

ثم تناول البحث مصادر غرس العقيدة الإسلامية عند الشيخ متمثلة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ومدرسة محمد عبده وحسن البنا، وفي الأخير أسأل الله ـ تعالىٰ ـ أن يغفر لي ما كان فيه من خطأ، وأن يجبر ما وقع فيه من نقص، وأن يجعل كلامنا طيبا، وعملنا صالحا، فهو القائل سبحانه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصفي عاشور أبو زيد

❊ ❊ ❊ ❊

محمد الغزالي السقا ... بطاقة حياة

[5 من ذي الحجة 1335هـ = 22 من سبتمبر 1917م – 19من شوال 1270هـ= 9 من مارس 1996م] (1) .

كان الشيخ «محمد الغزالي» واحدًا من دعاة الإسلام العظام، ومن كبار رجال الإصلاح، اجتمع له ما لم يجتمع إلا لقليل من النابهين؛ فهو مؤمن صادق الإيمان، مجاهد في ميدان الدعوة، ملك الإسلام حياته؛ فعاش له، ونذر حياته كلها لخدمته، وسخر

(1) كتب هذه الترجمة الأستاذ أحمد تمام – رحمه الله – بعنوان: «الغزالي.. فارس الدعوة البليغ»، وقد أوردتها هنا وفاء له؛ لما كان له من صحبة طيبة، وجهود واسعة وإتقان ملحوظ في تراجم العلماء، وقد رجع في هذه الترجمة لعدد من المصادر، منها:

- يوسف القرضاوي: الشيخ الغزالي كما عرفته – دار الشروق – القاهرة – 1420–2000م.
- عبد الحليم عويس وآخرون: الشيخ محمد الغزالي.. صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره – دار الصحوة للنشر – القاهرة 1413هـ = 1993م.
- محمد عمارة: الشيخ محمد الغزالي.. الموقع الفكري والمعارك الحربية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1992م.
- محمد رجب بيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين – دار القلم – دمشق 1420هـ= 1999م.

قلمه وفكره في بيان مقاصده وجلاء أهدافه، وشرح مبادئه، والذود عن حماه، والدفاع عنه ضد خصومه، لم يدع وسيلة تمكنه من بلوغ هدفه إلا سلكها؛ فاستعان بالكتاب والصحيفة والإذاعة والتلفاز في تبليغ ما يريد.

رزقه الله فكرا عميقا، وثقافة إسلامية واسعة، ومعرفة رحيبة بالإسلام؛ فأثمر ذلك كتبا عدة في ميدان الفكر الإسلامي، تُحيي أمة، وتُصلح جيلا، وتفتح طريقا، وتربي شبابا، وتبني عقولا، وترقي فكرا. وهو حين يكتب أديب مطبوع، ولو انقطع إلىٰ الأدب لبلغ أرفع منازله، ولكان أديبا من طراز حجة الأدب، ونابغة الإسلام «مصطفىٰ صادق الرافعي»، لكنه اختار طريق الدعوة، فكان أديبها النابغ.

وهبه الله فصاحة وبيانا، يجذب من يجلس إليه، ويأخذ بمجامع القلوب فتهوي إليه، مشدودة بصدق اللهجة، وروعة الإيمان، ووضوح الأفكار، وجلال ما يعرض من قضايا الإسلام، فكانت خطبه ودروسه ملتقىٰ للفكر ومدرسة للدعوة في أي مكان حل به. والغزالي يملك مشاعر مستمعه حين يكون خطيبا، ويوجه عقله حين يكون كاتبا، فهو يخطب كما يكتب عذوبة ورشاقة، وخطبه قطع من روائع الأدب.

والغزالي رجل إصلاح عالم بأدواء المجتمع الإسلامي في شتىٰ ربوعه، أوقف حياته علىٰ كشف العلل، ومحاربة البدع وأوجه الفساد في لغة واضحة لا غموض فيها ولا التواء، يجهر بما يعتقد أنه صواب دون أن يلتفت إلىٰ سخط الحكام أو غضب المحكومين، يحرّكه إيمان راسخ وشجاعة مطبوعة، ونفس مؤمنة.

المولد والنشأة

في قرية «نكلا العنب» التابعة لمحافظة البحيرة بمصر، ولد الشيخ محمد الغزالي في (5 من ذي الحجة 1335هـ = 22 من سبتمبر 1917م) ونشأة في أسرة كريمة، وتربىٰ في بيئة مؤمنة؛ فحفظ القرآن، وقرأ الحديث في منزل والده، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، وظل به حتىٰ حصل علىٰ الثانوية الأزهرية، ثم انتقل إلىٰ القاهرة سنة (1356هـ =1937م) والتحق بكلية أصول الدين، وفي أثناء دراسته بالقاهرة اتصل بالإمام حسن البنا وتوثقت علاقته به، وأصبح من المقربين إليه، حتىٰ إن الإمام البنا طلب منه أن يكتب في مجلة «**الإخوان المسلمين**»؛ لما عهد فيه من الثقافة والبيان؛ فظهر أول مقال له وهو طالب في السنة الثالثة بالكلية، وكان البنا لا يفتأ يشجعه علىٰ مواصلة الكتابة حتىٰ تخرج سنة (1360هـ = 1941م) ثم تخصص في الدعوة،

وحصل علىٰ درجة «**العالمية**» سنة (1362هـ = 1943م) وبدأ رحلته في الدعوة في مساجد القاهرة.

في ميدان الدعوة والفكر

كان الميدان الذي خُلق له الشيخ الغزالي هو مجال الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة ووعي، مستعينا بقلمه ولسانه، فكان له باب ثابت في مجلة الإخوان المسلمين تحت عنوان «**خواطر حية**» جلَّىٰ قلمه فيها عن قضايا الإسلام ومشكلات المسلمين المعاصرة، وقاد حملات صادقة ضد الظلم الاجتماعي وتفاوت الطبقات وتمتُّع أقلية بالخيرات في الوقت الذي يعاني السواد الأعظم من شظف العيش.

ثم لم يلبث أن ظهر أول مؤلفات الشيخ الغزالي بعنوان «الإسلام والأوضاع الاقتصادية» سنة (1367هـ = 1947م) أبان فيه أن للإسلام من الفكر الاقتصادي ما يدفع إلىٰ الثروة والنماء والتكافل الاجتماعي بين الطبقات، ثم أتبع هذا الكتاب بآخر تحت عنوان «**الإسلام والمناهج الاشتراكية**»، مكملا الحلقة الأولىٰ في ميدان الإصلاح الاقتصادي، شارحا ما يراد بالتأمين الاجتماعي، وتوزيع الملكيات علىٰ السنن الصحيحة، وموضع الفرد من الأمة ومسئولية الأمة عن الفرد، ثم لم يلبث أن أصدر كتابه الثالث «الإسلام المفترىٰ عليه بين الشيوعيين والرأسماليين» .

والكتب الثلاثة تبين في جلاءٍ جنوحَ الشيخ إلىٰ الإصلاح في هذه الفترة المبكرة، وولوجه ميادين في الكتابة كانت جديدة تماما علىٰ المشتغلين بالدعوة والفكر الإسلامي، وطرْقه سبلا لم يعهدها الناس من قبله، وكان همُّ معظم المشتغلين بالوعظ والإرشاد قبله الاقتصار علىٰ محاربة البدع والمنكرات.

في المعتقل

ظل الشيخ يعمل في مجال الدعوة حتىٰ ذاعت شهرته بين الناس لصدقه وإخلاصه وفصاحته وبلاغته، حتىٰ هبّت علىٰ جماعة «**الإخوان المسلمين**» رياح سوداء، فصدر قرار بحلها في (صفر 1368هـ = ديسمبر 1948م) ومصادرة أملاكها والتنكيل بأعضائها، واعتقال عدد كبير من المنضمين إليها، وانتهىٰ الحال باغتيال مؤسس الجماعة تحت بصر الحكومة وبتأييدها، وكان الشيخ الغزالي واحدا ممن امتدت إليهم يد البطش والطغيان، فأودع معتقل الطور مع كثير من إخوانه، وظل به حتىٰ خرج من المعتقل في سنة (1369هـ = 1949م) ليواصل عمله، وهو أكثر حماسا للدعوة، وأشد صلابة في الدفاع عن الإسلام وبيان حقائقه.

ولم ينقطع قلمه عن كتابة المقالات وتأليف الكتب، وإلقاء

الخطب والمحاضرات، وكان من ثمرة هذا الجهد الدؤوب أن صدرت له جملة من الكتب كان لها شأنها في عالم الفكر مثل: «**الإسلام والاستبداد السياسي**» الذي انتصر فيه للحرية وترسيخ مبدأ الشورىٰ، وعدّها فريضة لا فضيلة، وملزِمة لا مُعْلِمة، وهاجم الاستبداد والظلم وتقييد الحريات، ثم ظهرت له: تأملات في الدين والحياة، وعقيدة المسلم، وخلق المسلم.

من هنا نعلم

وفي هذه الفترة ظهر كتاب للأستاذ خالد محمد خالد بعنوان «**من هنا نبدأ**»، زعم فيه أن الإسلام دين لا دولة، ولا صلة له بأصول الحكم وأمور الدنيا، وقد أحدث الكتاب ضجة هائلة وصخبا واسعا علىٰ صفحات الجرائد، وهلل له الكارهون للإسلام، وأثنوا علىٰ مؤلفه، وقد تصدىٰ الغزالي لصديقه خالد محمد خالد، وفند دعاوىٰ كتابه في سلسلة مقالات، جُمعت بعد ذلك في كتاب تحت عنوان «**من هنا نعلم**».

ويقتضي الإنصاف أن نذكر أن الأستاذ خالد محمد خالد رجع عن كل سطر قاله في كتابه «**من هنا نبدأ**»، وألّف كتابا آخر تحت عنوان «**دين ودولة**»، مضىٰ فيه مع كتاب الغزالي في كل حقائقه.

ثم ظهر له كتاب «**التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**»،

وقد ألفه علىٰ مضض؛ لأنه لا يريد إثارة التوتر بين عنصري الأمة، ولكن ألجأته الظروف إلىٰ تسطيره ردًّا علىٰ كتاب أصدره أحد الأقباط، افترىٰ فيه علىٰ الإسلام. وقد التزم الغزالي الحجة والبرهان في الرد، ولم يلجأ إلىٰ الشدة والتعنيف، وأبان عن سماحة الإسلام في معاملة أهل الكتاب، وتعرض للحروب الصليبية وما جرّته علىٰ الشرق الإسلامي من شرور وويلات، وما قام به الإسبانيون في القضاء علىٰ المسلمين في الأندلس بأبشع الوسائل وأكثرها هولا دون وازع من خلق أو ضمير.

الغزالي وعبد الناصر

بعد قيام ثورة 1952م، ونجاح قادتها في إحكام قبضتهم علىٰ البلاد، تنكروا لجماعة الإخوان المسلمين التي كانت سببا في نجاح الثورة واستقرارها، ودأبوا علىٰ إحداث الفتنة بين صفوفها، ولولا يقظة المرشد الصلب «**حسن الهضيبي**» وتصديه للفتنة لحدث ما لا تُحمد عقباه، وكان من أثر هذه الفتنة أن شب نزاع بين الغزالي والإمام المرشد، انتهىٰ بفصل الغزالي من الجماعة وخروجه من حظيرتها.

وقد تناول الغزالي أحداث هذا الخلاف، وراجع نفسه فيه، وأعاد تقدير الموقف، وكتب في الطبعة الجديدة من كتابه «**من**

معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث»، وهو الكتاب الذي دوّن فيه الغزالي أحداث هذا الخلاف فقال: «**لقد اختلفت مع المغفور له الأستاذ حسن الهضيبي، وكنت حادّ المشاعر في هذا الخلاف؛ لأني اعتقدت أن بعض خصومي أضغنوا صدر الأستاذ حسن الهضيبي لينالوا مني، فلما التقيت به – عليه رحمة الله– بعد أن خرج من المعتقل تذاكرنا ما وقع، وتصافينا، وتناسينا ما كان. واتفقت معه علىٰ خدمة الدعوة الإسلامية، وعفا الله عما سلف**». وهذا مما يحسب للغزالي، فقد كان كثير المراجعة لما يقول ويكتب، ولا يستنكف أن يؤوب إلىٰ الصواب ما دام قد تبين له، ويعلن عن ذلك في شجاعة نادرة لا نعرفها إلا في الأفذاذ من الرجال.

وظل الشيخ في هذا العهد يجأر بالحق ويصدع به، وهو مغلول اليد مقيد الخطو، ويكشف المكر السيئ الذي يدبره أعداء الإسلام، من خلال ما كتب في هذه الفترة الحالكة السواد مثل: «**كفاح دين**»، «**معركة المصحف في العالم الإسلامي**»، و«**حصاد الغرور**»، و«**الإسلام والزحف الأحمر**».

ويُحسب للغزالي جرأته البالغة وشجاعته النادرة في بيان حقائق الإسلام، في الوقت الذي آثر فيه الغالبية من الناس الصمت والسكون؛ لأن فيه نجاة حياتهم من هول ما يسمعون في

المعتقلات. ولم يكتفِ بعضهم بالصمت المهين بل تطوع بتزيين الباطل لأهل الحكم وتحريف الكلم عن مواضعه، ولن ينسىٰ أحد موقفه في المؤتمر الوطني للقوىٰ الشعبية الذي عُقد سنة (1382هـ = 1962م) حيث وقف وحده أمام حشود ضخمة من الحاضرين يدعو إلىٰ استقلال الأمة في تشريعاتها، والتزامها في التزيِّي بما يتفق مع الشرع، وكان لكلام الغزالي وقعه الطيب في نفوس المؤمنين الصامتين في الوقت الذي هاجت فيه أقلام الفتنة، وسلطت سمومها علىٰ الشيخ الأعزل فارس الميدان، وخرجت جريدة «الأهرام» عن وقارها وسخرت من الشيخ في استهانة بالغة، لكن الأمة التي ظُن أنها قد استجابت لما يُدبَّر لها خرجت في مظاهرات حاشدة من الجامع الأزهر، وتجمعت عند جريدة الأهرام لتثأر لكرامتها وعقيدتها ولكرامة أحد دعاتها ورموزها، واضطرت جريدة الأهرام إلىٰ تقديم اعتذار.

في عهد السادات

واتسعت دائرة عمل الشيخ في عهد الرئيس السادات، وبخاصة في الفترات الأولىٰ من عهده التي سُمح للعلماء فيها بشيء من الحركة، استغله الغيورون من العلماء؛ فكثفوا نشاطهم في الدعوة، فاستجاب الشباب لدعوتهم، وظهر الوجه الحقيقي لمصر. وكان الشيخ الغزالي واحدًا من أبرز هؤلاء الدعاة، يقدمه جهده وجهاده

ولسانه وقلمه، ورزقه الله قبولا وبركة في العمل، فما كاد يخطب الجمعة في جامع «**عمرو بن العاص**» -وكان مهملا لسنوات طويلة- حتىٰ عاد إليه بهاؤه، وامتلأت أروقته بالمصلين.

ولم يتخلَّ الشيخ الغزالي عن صراحته في إبداء الرأي ويقظته في كشف المتربصين بالإسلام، وحكمته في قيادة من ألقوا بأزمّتهم له، حتىٰ إذا أعلنت الدولة عن نيتها في تغيير قانون الأحوال الشخصية في مصر، وتسرب إلىٰ الرأي العام بعض مواد القانون التي تخالف الشرع الحكيم، قال الشيخ فيها كلمته، بما أغضب بعض الحاكمين، وزاد من غضبهم التفاف الشباب حول الشيخ، ونقده بعض الأحوال العامة في الدولة، فضُيق عليه وأُبعد عن جامع عمرو بن العاص، وجُمّد نشاطه في الوزارة، فاضطر إلىٰ مغادرة مصر إلىٰ العمل في جامعة «**أم القرىٰ**» بالمملكة العربية السعودية، وظل هناك سبع سنوات لم ينقطع خلالها عن الدعوة إلىٰ الله، في الجامعة أو عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

في الجزائر

ثم انتقل الشيخ الغزالي إلىٰ الجزائر ليعمل رئيسا للمجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسطنطينة، ولم يقتصر أثر جهده علىٰ تطوير الجامعة، وزيادة عدد كلياتها، ووضع

المناهج العلمية والتقاليد الجامعية، بل امتد ليشمل الجزائر كلها؛ حيث كان له حديث أسبوعي مساء كل يوم اثنين يبثه التلفاز، ويترقبه الجزائريون لما يجدون فيه من معانٍ جديدة وأفكار تعين في فهم الإسلام والحياة. ولا شك أن جهاده هناك أكمل الجهود التي بدأها زعيما الإصلاح في الجزائر: عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومدرستهما الفكرية.

ويقتضي الإنصاف القول بأن الشيخ كان يلقىٰ دعما وعونا من رئيس الدولة الجزائرية «**الشاذلي بن جديد**»، الذي كان يرغب في الإصلاح، وإعادة الجزائر إلىٰ عروبتها بعد أن أصبحت غريبة الوجه واللسان.

وبعد السنوات السبع التي قضاها في الجزائر عاد إلىٰ مصر ليستكمل نشاطه وجهاده في التأليف والمحاضرة حتىٰ لقي الله وهو في الميدان الذي قضىٰ عمره كله، يعمل فيه في (19 من شوال 1270هـ = 9 من مارس 1996م) ودفن بالبقيع في المدينة المنورة.

الغزالي بين رجال الإصلاح

يقف الغزالي بين دعاة الإصلاح كالطود الشامخ، متعدد المواهب والملكات، راض ميدان التأليف؛ فلم يكتفِ بجانب واحد من جوانب الفكر الإسلامي، بل شملت مؤلفاته: التجديد

في الفقه السياسي ومحاربة الأدواء والعلل، والرد علىٰ خصوم الإسلام، والعقيدة والدعوة والأخلاق، والتاريخ والتفسير والحديث، والتصوف وفن الذكر. وقد أحدثت بعض مؤلفاته دويًّا هائلا بين مؤيديه وخصومه في أخريات حياته مثل كتابيه: «**السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**» و«**قضايا المرأة المسلمة**».

وكان لعمق فكره وفهمه للإسلام أن اتسعت دائرة عمله لتشمل خصوم الإسلام الكائدين له، سواء أكانوا من المسلمين أو من غيرهم، وطائفة كبيرة من كتبه تحمل هذا الهمّ، وتسد تلك الثغرة بكشف زيغ هؤلاء، ورد محاولاتهم للكيد للإسلام.

أما الجبهة الأخرىٰ التي شملتها دائرة عمله فشملت بعض المشتغلين بالدعوة الذين شغلوا الناس بالفروع عن الأصول وبالجزئيات عن الكليات، وبأعمال الجوارح عن أعمال القلوب، وهذه الطائفة من الناس تركزت عليهم أعمال الشيخ وجهوده؛ لكي يفيقوا مما هم فيه من غفلة وعدم إدراك، ولم يسلم الشيخ من ألسنتهم، فهاجموه في عنف، ولم يراعوا جهاده وجهده، ولم يحترموا فكره واجتهاده، لكن الشيخ مضىٰ في طريقه دون أن يلتفت إلىٰ صراخهم.

وتضمنت كتبه عناصر الإصلاح التي دعا إليها علىٰ بصيرة؛

لتشمل تجديد الإيمان بالله وتعميق اليقين بالآخرة، والدعوة إلىٰ العدل الاجتماعي، ومقاومة الاستبداد السياسي، وتحرير المرأة من التقاليد الدخيلة، ومحاربة التدين المغلوط، وتحرير الأمّة وتوحيدها، والدعوة إلىٰ التقدم ومقاومة التخلف، وتنقية الثقافة الإسلامية، والعناية باللغة العربية.

واستعان في وسائل إصلاحه بالخطبة البصيرة، التي تتميز بالعرض الشافي، والأفكار الواضحة التي يعد لها جيدا، واللغة الجميلة الرشيقة، والإيقاع الهادئ والنطق المطمئن، فلا حماسة عاتية تهيج المشاعر والنفوس، ولا فضول في الكلام يُنسي بضعه بعضا، وهو في خطبه معلِّم موجه، ومصلح مرشد، ورائد طريق يأخذ بيد صاحبه إلىٰ بَر الأمان، وخلاصة القول أنه توافرت للغزالي من ملكات الإصلاح ما تفرق عند غيره، فهو: مؤلف بارع، ومجاهد صادق، وخطيب مؤثر، وخبير بأدواء المجتمع، بصير بأدويته.

* * * *

تمهيد

عاش الصحابة رضوان الله عليهم بعقيدة صافية كماء المزن لا يشوبها كدر، ولا يختلط بها غبش؛ لأنهم عايشوا التنزيل، وكان الرسول -ﷺ- بين أظهرهم، فتلقوا عقيدتهم من الوحي مباشرة قرآنا وسنة، وكانوا لا يسألون إلا عما ينفعهم، فإذا علموا ما كُلِّفوا به راحوا يعملون به بعيدا عن الجدل الذي لا يثمر عملا.

وقبل انقضاء النصف الأول من القرن الأول الهجري خلَفَ خلْفٌ أدخلوا في العقيدة ما ليس منها، وطرحوا من الأسئلة والجدال والنقاش ما لا طائل تحته، بفعل وجود الفرق التي انبثقت من حادثة التحكيم الشهيرة، وبوجود طوائف من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، والانفتاح أو الاتصال بالثقافات الأخرىٰ التي أدخلت بعد هذا بقليل عن طريق الترجمة مصطلحاتٍ جديدةً مستعارة من الفلسفة الطبيعية كالحركة والجسم والجوهر والعرض، فضلا عما تسرب إلىٰ العقل الإسلامي من أفكار أثناء الترجمة أحدثت اضطرابا وجدلا في باب العلم، ثم ظهرت مدارسُ في دراسة العقيدة علىٰ رأسها

المعتزلة أثرت بشكل سلبي في دراسة العقيدة بما أدخلته من مصطلحات فلسفية ومنطقية جدلية، ثم تلا ذلك جمودٌ وتقليد وتقوقعٌ بدأ مع القرن السابع الهجري، وتطور خلال القرون التي تلتْه؛ حيث تمثل الجمود في الاكتفاء بشرح ما قاله السابقون واختصارِه دون إضافة تذكر إلىٰ شكل العلم أو موضوعه فضلا عن منهجه ومضمونه.

حتىٰ جاء القرن الثاني عشر الهجري ليشهد بدايةَ النهضةِ الكبيرة في هذا العلم، والتي أطلق شرارتَها الإمامُ المجدد محمدُ بن عبد الوهاب (1115ـ 1206هـ)، والتي تتابعت بعدها محاولاتُ التجديد والبعث والإحياء، حيث لاقتْ هذه الدعوةُ قبولا لدىٰ كثير من المفكرين في البلاد العربية والإسلامية، مثل: الشوكاني، والقاسمي، وولي الله الدهلوي، والسنوسي، وما أملاه جمال الدين الأفغاني علىٰ تلامذته علىٰ «**شرح الدواني علىٰ العقائد العضدية**»[1]، وما كتبه الإمام محمد عبده في «**رسالة التوحيد**»، وتلا ذلك حركة تأليفية واسعة شملت علماء وفقهاء كبارا، مثل حسن البنا في «**رسالة العقائد**»، والسيد سابق في «**العقائد الإسلامية**»، وعلي الطنطاوي في «**تعريف عام بدين**

(1) منشورة ضمن الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني. جمع وتحقيق ودراسة د. محمد عمارة.

الإسلام»، ومحمد نعيم ياسين في «**الإيمان: حقيقته وأركانه ونواقضه**»، ويوسف القرضاوي في «**حقيقة التوحيد**» و«**وجود الله**» و«**الإيمان والحياة**»، و«**الإيمان بالقدر**»، وأبو بكر الجزائري في «**عقيدة المؤمن**»، وحسن أيوب في «**تبسيط العقائد**»، وأيضا ما كتبه كل من: ابن باديس، ومحمد إقبال، ومالك بن نبي، ووحيد الدين خان، والعقاد، وحسن الشافعي، وغيرهم.

❊ ❊ ❊ ❊

معالم منهجية في تناول الشيخ لمسائل العقيدة

وممن أسهموا بشكل بارز في تجديد علم العقيدة والعودة به إلىٰ منابعه الأولىٰ الداعيةُ الكبير والمصلح المجدد الشيخ محمد الغزالي ـ يرحمه الله ـ [1335 ـ 1417هـ / 1917 ـ 1996م]، حيث قدم في كتابه: «**عقيدة المسلم**»، وغيرِه من الكتب منهاجا متميزا في تناول العقيدة الإسلامية، جدد به العلم من حيث الشكل والمضمون.

وقد تمثلت معالم هذا المنهج التي سنحاول استقصاءها في ثماني نقاط من خلال مجمل ما كتبه في العقيدة، وعلىٰ رأسها كتابه «**عقيدة المسلم**»، وذلك علىٰ النحو التالي:

* * * *

أولاً: التخفف من الجدل في الدرس العقدي

نقَّىٰ الشيخ محمد الغزالي ـ في تناوله ـ علمَ التوحيد مما شابه من الجدل الكلامي والفرق الكلامية التي جرَّت بجدلها ومصطلحاتها علىٰ العقيدة ما شوَّش حقيقتها، وعلىٰ الإيمان ما عكر صفوه، وأبعده عن تحقيق أهدافه وغاياته.

مآخذ الشيخ علىٰ علم الكلام

ويقدم الشيخ الغزالي ملاحظاتِه ومآخذَه التي يجدها من يقرأ عقيدة المسلم في العلم الموسوم بـ «**علم الكلام**» في المسائل التي دارت بين العلماء، وتمخضت عنها مناظراتُهم، وأثر ذلك كله في إيمان العامة، ومن هذه المآخذ:

المأخذ الأول: أنه منهج نظري بحت ينظّم المقدمات ويستخلص النتائج كما تصنع الآلاتُ الحاسبة في عصرنا هذا، أو الموازين التي تضبط أثقال الأجسام، ثم تسجل الرقم وتقذف به للطالبين، فانتهت إلىٰ نتائج قد يستريح إليها العقل الحصيف، هذا المنهج بهذه الطريقة جعل العامة يفزعون إلىٰ علوم التصوف يستكملون منها ما عزَّ عليهم إدراكُه في علم الكلام، غير أن التصوف ميدان كثير المزالق، وشطحات كثير من السائرين فيه

أكثر من سدادهم، لكنه أنعش عاطفة الحب الإلهي، وربط قلوب الناس ربطا رقيقا ببديع السماوات والأرض، بيد أن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب العقل والقلب، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالاتِ النفسيةَ مع إيقاظه للقوىٰ الذهنية.

المأخذ الثاني: أنه نشأ في ظروف كان لها أثرٌ سيئ في سرد حقائقه وصَوْغ دقائقه، فإن جحيم السياسة وتطاحنَ الأحزاب المختلفة أرسل شُواظا من الأحكام الإسلامية لا نزال إلىٰ اليوم نشقىٰ بها برغم القرون الطويلة التي مرت عليها، ومن الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة تُتصيّد فيها النصوصُ، ويُنشد فيها الغلب، ويُلعب فيها بالألفاظ، ويُستغل منطق أرسطو في المخاتلة وإيقاع الخصم أمام العامة، ثم يقول الشيخ: «**وما أحسب أمة تحتاج إلىٰ وحدة الأفكار والمشاعر مثل هذه الأمة الإسلامية، فإذا نشب خلافٌ علىٰ شيء ما، فإن تحويل هذا الخلاف من الأدمغة المفكرة إلىٰ صفوف الأمة يُعد جريمةً في حق الله ورسوله -ﷺ- وجماعة المسلمين**».

الآثار السيئة لطرح هذه القضايا:

ويستعرض الشيخ الغزالي بعض الآثار السيئة التي نجمت عن طرح مثل هذه القضايا وإدارة الجدل حولها فيقول:

إذا اختلف القدامىٰ: هل العمل ضرورة للإيمان أو كمال فيه؟

ترجح لدىٰ العامة أنه كمالٌ فقط، فيصاب المجتمع من هذا الخلاف بتركِ العمل!

وإذا اختلف القدامىٰ هل للإنسان قدرة وإرادة يَفعل بهما ويَترك؟ أو هو مقهور مكتوف اليدين؟ ترجح لدىٰ العامة أن المرء لا عزم له ولا حول ولا طول، فيصاب المجتمع من هذا الخلاف بسقوطِ الهمة وخَوَرِ العزيمة!

وإذا تجادل القدامىٰ: هل للمسلم حق الالتجاء إلىٰ الله دون وساطة الصالحين من الأحياء أو المقبورين؟ ترجح لدىٰ العامة أن المسلم لا يستغنىٰ عن معونة الأولياء، وأنه إذا ذهب إلىٰ ربه من دونهم فالويل له! فيصاب المجتمع من هذا الخلاف بشيوعِ الشرك وضعفِ الصلة برب الأرض والسماء!

وهكذا لصقت بالمجتمع الإسلامي مجموعةٌ من الخسائس لا شك في أنها بعيدة الأثر فيما لحقه من اضمحلال وهوان.

وفي مقام آخر يبين هذه الآثار فيقول: «**واستحياء الخلاف القديم بين السلف والخلف في عصرنا هذا ليس إلا مضيا في تضليل المسلمين عن رسالتهم الكبرىٰ، واستبقاء علل التخلف الخلقي والاجتماعي بينهم**»[1].

(1) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: 17. دار الشروق. ط ثانية. 1426هـ/ 2005م.

ويبين الشيخ الغزالي ما صار عليه في عرضه للعلم فيقول: «**وقد بذلت جهدي ـ حين تصديتُ لتصوير عقيدة المسلم ـ أن أتجنب أشواك هذا الخلاف، فإذا استطعتُ طيَّهُ في السياق المطرد طويتُه وتجاهلته، وإذا اضطُّرِرْتُ إلىٰ خوضه عالجته علىٰ كره، وذكرت ما استبان لي أنه صواب، وقد أستجْهل الطرف المقبل ولا أكفِّره؛ لأن الجهل الفاضح ـ كما ظهر لي ـ أساسُ كثير من المشكلات العلمية المبهمة، وربما لمحتُ في أخلاق بعض المجادلين عوجا، وفي أسلوبهم عنفا، فأوثر مغفرة هذا علىٰ مقابلة السيئة بمثلها؛ لأننا أمة فقيرة جدا إلىٰ التجمع والائتلاف، فلندفع هذا من أعصابنا، والمرجع إلىٰ الله**»[1].

وفي سياق مناقشة الصفات وعرض أقوال من ذهبوا للتأويل الذي أوقعهم أحيانا في التجسيم أو التعطيل يقول الشيخ: «**كنت أود لو كف المسلمون الأوائل عن خوض معارك الجدل في الموضوع، أو لو استبان بعضهم وجهة نظر الآخر بدقة**».

ويفصح الشيخ في هذا السياق عن مذهبه في التأويل من عدمه فيقول: «**وأنا شخصيا أُوثر مذهب السلف، وأرفض أن يشتغل العقل الإسلامي بالبحث المضني فيما وراء المادة، وأرتضي قبول**

(1) راجع: عقيدة المسلم: 7-11 ، دار الدعوة بالإسكندرية. الطبعة الرابعة. بدون تاريخ، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها.

الآيات والأحاديث التي تضمنت أوصافا لله ـ جل شأنه ـ دون تأويل»[1].

علىٰ أننا ـ رغم ما أحدثه هذا الجدل من آثار سيئة ـ ينبغي ألا نقلل من شأن هذه الكلاميات والجدليات، فهي وإن كان لها أثرها وبعض امتدادها السيئ في علم الكلام وخطرها علىٰ عقيدة المسلم، فإنها تعبر عن عبقرية العقل المسلم في الاستدلال والحجاج والجدال والمناظرة، فيمكن أن نستفيد بها في هذا الجانب، وينبغي أن نُقيّمها في ضوء عصرها والظروف التي اكتنفتها حتىٰ نكون موضوعيين ومنصفين.

وينبغي أيضا أن نفرق بين علم العقيدة الأخص وعلم الكلام الأعم، كما ينبغي أن نفرق في نظرتنا إلىٰ تاريخ علم الكلام بين جهود أئمة متكلمي أهل السنة والجماعة من شيوخ الأشعرية والماتريدية من جهة، وجهود متكلمي الفرق والطوائف السنية والشيعية من جهة أخرىٰ؛ فلا نزن الجميع في كفة ميزان واحدة.

ونحن لا ننتظر من المتكلم في حقيقة علمه ووظيفته أن يكون داعية ولا صوفيا، ولا أن تتوجه جهوده لخدمة العوام الذين برئت

(1) نفس المصدر: 39، وتابع عرض هذه القضية في الصفحات: 40-44، وانظر مائة سؤال عن الإسلام: 296. دار نهضة مصر. القاهرة. الطبعة الرابعة. 2005م.

عقولهم من الشبه، فالكلام مهمته الإثبات العقلي ودرء الشبه ودفع الاعتراضات عن العقائد المنصوصة ثابتة النسبة إلىٰ دين محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ ولا عمل له مع المسلم المستكمل عرىٰ الإيمان؛ فلماذا نجره جبرا لكي يكون داعية أو صوفيا؟ وهل يعيب الطبيب الذي يعالج المرضىٰ، الذين انهدمت بنية أبدانهم وعقولهم، أن لا يكون مهندسا يؤسس البيوت للأصحاء ذوي العافية في أبدانهم وعقولهم؟!

لكن الداعية يأخذ ما ينتهي إليه المتكلم، ويعيد توظيفه بما يناسب الذين يتلقون دعوته.

❊ ❊ ❊ ❊

ثانيًا: مراجعة علم العقيدة من حيث الشكل والمضمون

ومن معالم المنهج عند الشيخ محمد الغزالي في تناول علم التوحيد أنه راجعه من حيث الشكل والمضمون؛ حيث يرىٰ أن كتب علم التوحيد التي تشيع بيننا الآن فَشِلَتْ في أداء رسالتها شكلا وموضوعا:

1ـ فمن ناحية الشكل:

لا معنىٰ ألبتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن وشرح وحاشية وتقرير، وفي لغة ركيكة اللفظ سقيمة الأداء، مع أن تطور الأدب في عصرنا هذا لا ينكر، وقد بلغ من تمكن المؤلفين والمتأدبين في اللغة العربية أن تناولوا الموضوعات التافهة فأخرجوها في ألبسة زاهية، ووجهوا ألوف القراء بسحر بيانهم إلىٰ ما يريدون، فهل يبقىٰ الكلام في العقائد وحدها حكرا علىٰ هذا النمط الرزي من الحواشي والمتون؟!

ونحن نتحفظ هنا علىٰ أسلوب الشيخ في هذا النقد القاسي الذي ينقد فيه المتون والحواشي، والتي حفظت ـ ولا تزال تحفظ ـ علم العقيدة الإسلامية، نحن معه في ألا نقصر التدريس علىٰ هذه الطريقة، لكن ليست كل الحواشي والمتون كانت بهذه اللغة

والأداء، ولا كانت «**حكرا علىٰ هذا النمط الرزي**» ـ كما قال الشيخ.

وإلا فكيف نغفل عن متون السنوسية وشروحها التي تقدم العقيدة في صورة تجمع بين خطاب العقل وإمتاع القلب، وفي أسلوب لا تنقصه رشاقة التعبير! وأين نحن من شروح عقيدة ابن الحاجب التي جمعت في البيان بين طريقة المحدثين في الاستدلال بالنقل من الكتاب والسنة، وطريقة المتكلمين الجامعة بين البراهين العقلية والأدلة النقلية في مواضعها، وطريقة الصوفية الصادرة عن معاني الذوق والشهود. ومن أهم هذه الشروح شرح تحرير المطالب للقاضي أبي القاسم البكي. وعلم الكلام في دقيقه وجليله وراء ذلك كله .

2ـ ومن ناحية الجوهر:

فقد طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم، فإذا بعلوم العقيدة تتحول عن مجراها العتيد، وإذا بكتب التوحيد تزدحم باصطلاحات الفلاسفة وطرائق تفكيرهم[1].

وقد قدم الشيخ الغزالي ـ يرحمه الله ـ في كتابه هذا أنموذجا طيبا

(1) عقيدة المسلم: 11.

من حيث الشكل والمضمون، فلم يكتفِ بالتنظير ولا بالكلام بعيدا عن التجربة، وإنما خط بقلمه هذا المثال ليكون تطبيقا علىٰ التنظير، وما أكثر ما ننظِّر في حياتنا لقضايانا ومشكلاتنا دون أن نضع حلولا عملية وتجارب تطبيقية لما نقرره من تنظير.

فمن ناحية الشكل صاغ الشيخ الغزالي موضوعاتِ علم التوحيد بأسلوب رائق وبيان باهر وطريقة أخاذة تجعلك لا ترتضي إذا فتحت الكتاب إلا أن تصل إلىٰ آخره، والشيخ الغزالي رقيق الطبع صافي النفس، شاعر مطبوع بارع، أديب من طراز نادر تشعر في عباراته النثرية أنها شعر منظوم. علىٰ أنه جرد العلم من المتون والحواشي وعرضه بشكل بسيط يقرؤه الخاصة والعامة ويستفيد منه العلماء وغير العلماء.

وأما من ناحية المضمون فكما قلنا: إنه نقاه من شغب الفرق الكلامية وجدلياتها إلا في أضيق الحدود، وتناول قضايا العلم بطريقة تُثمر آثاره في النفس والقلب كما في العقل والفكر سواءً بسواء.

وحسبك أن تقرأ ما كتبه في باب: «**الكمال الأعلىٰ**» [1]؛ حيث تناول الحديث عن: القدرة، والإرادة، والحكمة، والحياة،

(1) عقيدة المسلم: 80-94

والعلم، والسمع والبصر، والكلام، وأنت أنت الله. فابتعد في تناوله لهذه الموضوعات عما يثيره الكلاميون من قضايا نظرية تفتح باب الجدل والخلاف، ولا تثمر إلا الجدب والفقر في مجال العقيدة الإسلامية. ترك كل هذا وتناول مظاهر هذه المعاني في الكون وفي النفس وفي الآفاق بطريقة تسكب الإيمان سكبا في القلب، وتقنع العقل إقناعا بما يتناوله. ويصعب عليّ في هذا المقام أن أسرد أمثلة؛ لأن مجال القول ذو سعة والأمثلة كثيرة وأخاذة وكلها معبر ومُبَين، فيحسن بالقارئ أن يطالع هذه الموضوعات في صفحاتها هناك[1].

* * * *

(1) وراجع أيضا ما كتبه في باب: «**القضاء والقدر**» في عقيدة المسلم: 96-119.

ثالثاً: استقاء العقيدة من نصوص القرآن والسنة

وهذه من أهم المعالم عند الشيخ في علم العقيدة الإسلامية؛ حيث كان يأخذ مباشرة من النصوص، ويتعامل معها دون أن يكدر صفوها بما يطفئ نورها وأثرها بين يدي الجدل والشغب والمناظرات والحجاج العقلي الذي كادت العقيدة أن تتيه وسط ركامه.

يقول الشيخ: «**إن غرس العقيدة في الأفئدة لن يثمر ويزدهر إلا بأسلوب الإسلام نفسه، ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية، وتطوي الصفحات الطوال، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث إلا اقتباسات يسيرة، تبدو كالزهرات المنفردة في الأرض السبخة! ربما استراح عشاق البحث الفلسفي المجرد لهذه الكتب، ولا عليهم! لكن هذا لا يغنينا عن عرض العقيدة الخالصة حقائق تتصل عن قرب بمصادرها الأولى**»[1].

ويقول في موضع آخر: «**ليت المسلمين استقوا عقائدهم تصورا وتصويرا من القرآن وحده! إذن لأراحوا واستراحوا. إن بعض هواة الجدل لم يتورعوا عن كثرة اللغط في قضايا العقيدة،**

(1) السابق: 12.

فضلوا وأضلوا، ويشبه هؤلاء في الانحراف قوم غرَّتْهم فلسفةُ اليونان وخيالاتهم النظرية، تحدثوا في أصول الإيمان فزادوا الطين بلة، ولا عاصم من هذه المزالق كلها إلا التزام المنهج القرآني والسير في معالمه»[1].

وهذا الاستقاء ـ في تقدير الشيخ ـ لا يخلو من فوائد تعود على المؤمن، فحديث القرآن الكريم عن الله يمزج بين **أمرين**:

الأول: فقر العالم إلى الله وقيامه به واستمداده الوجود منه، أي أنه من المستحيل أن يتخلق من غير الخالق، أو ينتظم من غير منظم.

والثاني: أن هذا الخالق المدبر واحد لا شريك له، ليس له ند أو ضد، كل شيء هالك إلا وجهه، كل شيء من إنس، أو جن، أو ملك، أو عبد قنٌّ له وحده، يستوي في هذه العبودية حيوان مُسْتَخْفٍ تحت التراب، أو مَلَك ساجد تحت العرش[2].

وفي فائدة ثالثة يشير الشيخ إلى أن شرح حقيقة التوحيد في الأسلوب القرآني يمحو آثار الإلحاد، وينفي شبهات الملحدين،

---

(1) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: 13.

(2) السابق: 22، وقال الخليل بن أحمد: القِنُّ: العبد المتعبد، ويجمع على الأقنانِ، وقال ابن عباد: القِنُّ: العَبد الذي مُلِكَ هو وأبَواه، والجميع الأقْنانُ والأقِنَّةُ. انظر العين: القاف مع النون، والمحيط في اللغة: القاف والنون.

وبذلك تتعانق أدلة الوجود الأعلىٰ وأدلة التوحيد المطلق في نسق فذ[1].

فالحديث عن الله ـ تباركت أسماؤه ـ يتخذ في القرآن أسلوبا قريبا من الفطرة، سريعا إلىٰ العقل، بعيدا عن الغموض والتعقيد، مفعما بالوضوح والإشراق[2].

وكما قدم الشيخ مثالا تطبيقيا في المعلم السابق، فإنه في هذا المعلم تجاوز الكلام النظري كذلك إلىٰ ضرب مثال فريد قلَّ أن تجده عند من تناولوا العقيدة في العصر الحديث.

وقد قرأت كتاب الشيخ عن «**عقيدة المسلم**» فلا أكاد أفتح صفحة إلا أجد فيها نصا من آية أو حديث يعبر تعبيرا صادقا عن المعنىٰ الذي يتناوله، أو الشبهة التي يدحضها، أو الأثر الذي يريد بثه في النفس، يقول في ذلك: «**ولا يستكثرن القارئ إيراد الشواهد منها ـ يعني من الآيات والأحاديث ـ فإن لذلك حكمة مقصودة تعرف بعد مطالعتها في سياقها**»[3].

ولا يخفىٰ ما عند الشيخ من قدرة علىٰ إيراد الشاهد إيرادا

(1) مائة سؤال عن الإسلام: 150، وانظر تفصيل هذه الفكرة في الصفحات بعدها.

(2) نظرات في القرآن: 62. دار نهضة مصر. ط. سادسة. 2005م.

(3) عقيدة المسلم: 8.

بديعا وفي صميم المعنىٰ الذي يتناوله، وهو فن لا يحسنه كثير من الكتاب.

* * * *

رابعًا: الجمع بين إقناع العقل وإمتاع القلب

وهو منهج إسلامي صميم، فالإسلام في شعائره وشرائعه، وعقيدته وعباداته، وأخلاقه وآدابه يستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوىٰ الذهنية، وإذا كان تناول العقلانيين مُنصبًّاومهتما بالجانب العقلي فقط بما تدل عليه مصطلحات المناظرة والمجادلة والحجاج، واقتصر تناول الصوفية علىٰ مخاطبة القلب فقط، فإن الشيخ محمد الغزالي قد وقف موقفا وسطا جمع فيه بين إقناع العقل وإمتاع القلب.

يقول الشيخ ـ يرحمه الله ـ ناعيا علىٰ الأسلوب الذي تناولت به كتب الكلاميات هذا العلم: «وقد كنت أرقب عن كثب ما تخلفه دروسُ التوحيد من كتبه المقررة، فما كنت أجد فارقا يذكر لدىٰ السامعين بينها وبين شروح المعادلات الجبرية مثلا، كلاهما ترويض للعقل مبتوت الصلة بالفؤاد، فكان الطالب يذكر طائفة من الأدلة علىٰ الوجود الدائم «**لواجب الوجود**»، ولا يستشعر في قرارة نفسه عظمة الخالق المتعال، أو يختلج في بدنه عِرْق من الرغبة أو الرهبة نحوَ مَن سوّاه، وألهمه فجوره وتقواه، أفهكذا تُدرس العقيدة؟!».

ثم يقول مبينا المنهج الذي سار عليه في كتابه عقيدة المسلم: «**وقد حاولت في أثناء الكتابة عن عقيدة المسلم أن أرطب جفاف التفكير العقلي برشحات من المشاعر الحية، ولم أتكلف لذلك إلا أن أجعل نصوص الكتاب والسنة نصب عيني**»[1].

وفي عرض الشيخ في الكتاب كله لا يخرج عن هذا المنهج؛ حيث يضرب الأمثلة العقلية ويستخدم «**قياس الأولىٰ**» كثيرا للوصول إلىٰ حقيقة نفسية وقلبية، وهي إقرار وجود الله في النفس، وإثبات أن له الخلق والأمر، وما يتبع ذلك من آثار في نفس المسلم.

اقرأ مثلا وهو يتحدث عن أن العالم لم يُخلَق صدفة، ويبين ما في الكون من ترابط عجيب، وتوافق كبير في السماء والأرض، والشمس والقمر،وتبادل الأكسجين والكربون، وما يحدثه من توازن في الغلاف الهوائي، مستدلا بذلك علىٰ وجود الله فيقول: «**أفتحسب هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه؟ إني أحيانا أسرّح الطرف في زهرة مخططة بعشرات الألوان ألتقطها بأصابع عابثة من بين مئات الأزهار الطالعة في إحدىٰ الحدائق، ثم أسأل نفسي: بأي ريشة نسقت هذه الألوان؟ إنها ليست ألوان الطيف وحدها.**

(1) نفسه: 7-8.

إنها مزيج رائق ساحر من الألوان التي تبدو هنا مخففة، وهنا مظللة، وهنا مخططة، وهنا منقطة. وأنظر إلىٰ أسفل، إلىٰ التراب الأعفر الذي اطلع علىٰ هذه الألوان، إنه بيقين ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها، هل الصدفة هي التي أشرفت علىٰ ذلك؟ أي صدفة؟ إن المرء يكون غبيا جدا عندما يتصور الأمور علىٰ هذا النحو».

ثم يقول: «**لماذا يطلب مني ـ إذا رأيت خيطا أنيقا ـ أن أتصور خيطا دخل من تلقاء نفسه في ثقب إبرة، اشتبكت من تلقاء نفسها في نسيج الثوب، أو أخذت تعلو وتهبط صانعة الصدر والذيل والوسط والأكمام والأزرار والفتحات والزركشة والمحاسن ..إلخ؟**

إن إحالة الأمور علىٰ المصادفات ضرب من الدجل العلمي يرفضه أولو الألباب» [1].

فانظر كيف أقنع العقل أن لكل صنعة صانعا، ثم أثر في النفس بما عرضه من ألوان وجمال وجلال، كل ذلك بعيدا عن الاستدلال بالآيات أو الأحاديث.

وفي مثال آخر يدلل به علىٰ أن للكون مَن يُسَيره وينظمه يقول:

(1) نفسه: 19-20.

«إنه من المقطوع به عقلا أن العدم لا يتحول إلىٰ وجود ولا يخلق وجودا، فإذا قيل إن العالم مفتقر في إحداثه إلىٰ سبب، وأن الأحياء محتاجة في وجودها إلىٰ خالق، قيل: بل يجوز أن يتم ذلك من تلقاء نفسه. وإذا كانت حركة المرور في القاهرة مثلا تتطلب فرقة من الجنود لتنظيمها، وإلا لسرت الفوضىٰ في أرجائها، فهل يستغرب القول بقدرة منظِّمة مشرفة علىٰ الألوف المؤلفة من الكواكب السيارة في الفضاء؟ وهل يعتبر القول بأن المصادفات المخصصة هي التي تتولىٰ هذا التنظيم..هل يعتبر إلا لغوا ومجونا؟» [1].

وعلىٰ هذا النحو يسير الشيخ في قضايا عديدة، في قضية الوحدانية وعدم وجود إله مع الله، وفي قضية ادعاء بنوة عيسىٰ لله تعالىٰ، وقضية ادعاء ألوهية عيسىٰ ـ عليه السلام ـ وقضية طلاقة القدرة لله في كونه، وقضية الحرية الكاملة والمطلقة له أيضا في الخلق والشرع، كل هذا يتناوله بأسلوب رائق شيق، يقنع العقل ويؤثر في النفس، متلمسا الأمثلة المعيشة والمحسوسة، فيبدد الشبهات بلين ولطف، وجمال وجلال في آنٍ معا.

* * * *

(1) نفسه: 27.

خامسًا: الإفادة من الإنجازات العلمية في تعميق الإيمان

إن ما ينتجه البحث العلمي جدير أن نوظفه في خدمة معارفنا الإسلامية عموما، وليس العقيدة فحسب، وإن كان في الدلالة علىٰ الله وعظيم قدرته ألصق وأوثق، وإنما ينبغي أن نعزز به كل آدابنا وشعائرنا وشرائعنا.

وقد أفاد داعيتنا الكبير الشيخ محمد الغزالي بنتائج البحث العلمي في بحثه عن العقيدة، ووظفه أحسن توظيف في الدلالة علىٰ وجود الله وقدرته وهيمنته علىٰ ما في الكون، يقول في ذلك: «**إن العقل الذكي والبحث النزيه والفكرة المبرأة عن الغرض، المستقيمة علىٰ النهج تتأدىٰ بأصحابها حتمًا إلىٰ الله وتَقِفُهم خاشعين أمام الشعور الغامر بعظمته وجلاله. وإن من الغباوة والبلادة أن يظن السفهاء من الناس أن الإيمان وليد استغلاق الذهن، أو أن استبحار العلوم واتساع المعارف الإنسانية يخدش قاعدة الإيمان، ويوهن الصلة بالإله الديان**» [1].

(1) عقيدة المسلم: 22، وانظر في الصفحات التالية كلاما نقله الشيخ عن هرشل وسقراط ولابلاس وسبنسر وآينشتين وغيرهم، تؤيد ما قال، ولا غرو فالحكمة ضالة المؤمن أنىٰ وجدها فهو أحق الناس بها.

وعن تقديره للدراسات التجريبية يقول: «**إنني شديد الاحترام للدراسات التجريبية المستيقنة التي يتميز بها عصرنا هذا**»[1].

غير أن العلم مهما تقدم لا يغني عن الإيمان، والإيمان الذي نحترمه هو الذي يعانق العقل، وتزدان به الحياة[2].

قيمة البحث التجريبي في الدلالة على الله

ويتحدث الشيخ عن تصوراتٍ للعلماء المحدثين في الألوهية التبس فيها الحق بالباطل مبينا أن علة هذا اللبس أن هداية السماء لم تصحب العقل في سيره، ثم يقول الشيخ ـ يرحمه الله ـ: «إن العقول السليمة تتلاقى على الحق، ولما[3] ازدادت علما كان تلاقيها على الحق أيسر وأقرب، ومن أجل هذا رأينا العلماء بعد ذلك الانتكاس المادي الذي اعترى بعضهم في أواخر القرن التاسع عشر – يرجعون إلى التلاقي على الحق، ويكادون يجمعون اليوم إجماعا بلسان أكابرهم على أن هذه القوانين والنواميس التي نشأت على أساسها الحياة ـ وتطورت تنطوي

(1) ركائز الإيمان بين العقل والقلب: 46. دار الشروق. ط 2. 1423هـ/ 2002م.

(2) مائة سؤال عن الإسلام: 198، وراجع مقالات الشيخ محمد الغزالي: 1/ 192، وما بعدها. جمعها عبد الحميد حسنين حسن. طبعة نهضة مصر. الطبعة الرابعة. 2005م.

(3) هكذا وردت في متن هذه الطبعة، ولعل الصواب: «**وكلما ازدادت...**».

علىٰ وحدة في القصد والإرادة والعناية والحكمة ـ يستحيل معها علىٰ العقل السليم المفكر أن يؤمن بأن هذه الحياة خلقت وتطورت بالمصادفة العمياء[1].

ويجمع الشيخ الغزالي هنا ـ كما هو واضح ـ بين الإفادة من نتائج البحث العلمي والتأمل وإعادة النظر والتفكر والاعتبار بما في الكون والآفاق من دلائل علىٰ وجود الله تعالىٰ، ومع كثرة هذه الدلائل العلمية والكونية، فإن العالم لم يخل من منكرين يجحدون الحق ويكفرون بالله.

وتحت عنوان «**القدرة**» يقول الشيخ: «**لا تحسبن شيئا في الكون قادرا بنفسه، فكما أن القدرة أبدعته أولا من عدم، فقد أودعت فيه من أسرارها، وبثت فيه من آثاراها ما يدل عليها، وبعض الجاحدين من علماء الطبيعة يردون ما يقع تحت أبصارهم من هذه الدلائل الباهرة إلىٰ مجهول محض، أو قوىٰ كامنة في المواد والعناصر المختلفة، وهذا تخريف شائن، وتسفيه للعقل، ومغالطة للواقع. إن النور المتولد عن انتشار الكهرباء في الأسلاك، والحركة الناشئة عن امتداد الأبخرة في المواسير، والحديد المرتفع في الجو نتيجة تغيير المراوح الدائرة لمقادير**

(1) عقيدة المسلم: 24.

الضغط حول الطائرة ـ كل أولئك لا يرفع قدر عنصر من العناصر المخلوقة فيهب لها مرتبة الوجود المستقل، فضلا عن الإيجاد الرائع»[1].

هذا كله يدل علىٰ ثقافة الشيخ العلمية التي لم يهملها رغم أنه لم يتلَقَّها في مراحل الدرس النظامي بالأزهر العتيق، كما يدل علىٰ حسن توظيفه لهذه الثقافة في الدلالة علىٰ الله تعالىٰ، وهو مثال ما أحوج الدعاة والعلماء في عصرنا أن يحذوا حذوه، وهذا معلم نادر من معالم التجديد في علم التوحيد أبرزه الشيخ وجلَّاه، ووظَّفه في طول كلامه وعرضه توظيفا حسنا.

❋ ❋ ❋ ❋

(1) نفس المصدر: 80.

سادسًا: طرح موضوعات جديدة في باب العلم

ومن المعالم المنهجية التي تناول الشيخ في ضوئها علم التوحيد، أنه عالج فيه قضايا جديدة، وهذا تجديد من حيث المضمون والمحتوى، فلقد جرى علماء الكلام قديما على تقسيم مباحث علمهم إلى دقيق الكلام وجليله، فأما دقيقه فيتضمن المقدمات الفلسفية العامة في البحث في الوجود والمعرفة، وأما جليل الكلام فيتضمن البحث في وجود الله تعالى وصفاته وما يتعلق بالإلهيات عموما، ثم ما يتصل بالنبوات، وما يتصل بالسمعيات.

وهذه القضايا التي تحدث فيها الشيخ لا نزعم أنه غير مسبوق بها، بل تحدث عنها بعض الأعلام ضمن مباحث علم العقيدة من قبل، بل هي مطروقة في القرآن الكريم نفسه، المصدر الأول للعقيدة الإسلامية، والشيخ هنا له تناول متميز فيها.

صلة العمل بالإيمان

ومما تحدث عنه الشيخ الغزالي -بل أولاه اهتماما خاصا في كتاباته-: صلة العمل بالإيمان، وهو أمر مهم يصب في تجديد العلم والعودة به إلى منابعه الأولى؛ حيث كان المسلمون في الصدر

الأول لا يكترثون إلا بما يترتب عليه عمل، يقول الشيخ الغزالي: ما من آية في كتاب الله ذكرت الإيمان مجردا، بل عطفت عليه عمل الصالحات أو تقوىٰ الله أو الإسلام له؛ بحيث أصبحت صلة العمل بالإيمان آصرة لا يعروها وهنٌ، فإذا عقدت مقارنة بين الهدىٰ والضلال جعل الإيمان والعمل جميعا في كفة وجعل الكفر في الكفة الأخرىٰ، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر] .

ويواصل الشيخ مؤكدا هذا المعنىٰ فيقرر أنه كثيرا ما يشار إلىٰ الإسلام وحقيقته الشاملة بمظاهر عملية واضحة محدودة: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد] .

بل إن العلامة التي يَنْصِبُها القرآن دليلا علىٰ فراغ النفس من العقيدة وخراب القلب من الإيمان، هي في النكوص عن القيام ببعض الأعمال الصالحة: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون] .

وقد ينظر إلىٰ الإيمان علىٰ أنه وصف يلحق الأعمال، ويطرأ علىٰ السلوك الإنساني المعتاد، فيصلحه ويصله بالله، فيذكر العمل

أولا كما هي مرتبة وجوده، ثم يذكر الإيمان ثانيا، على أنه شرطُ صحته وقبوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء] .

ويحسم الشيخ المسألة بأمر مصيري فيقول: ثم ما الذي يوزن في الدار الآخرة؟ أليست الأعمال التي تميل بالإنسان إلى النعيم أو الجحيم أو الدعاوى والمزاعم؟ ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف] [1].

والحق أن ارتباط الإيمان بالعمل أصل كبير ذكره القرآن في العديد من الآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:277]، و﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[الشعراء:227] ، وغيرهما كثير. وفصلته السنة النبوية قولا وعملا، وتمثله الصحابة والتابعون واقعا عمليا، ففي صحيح البخاري في كتاب الإيمان باب بعنوان: «**تفاضل أهل الإيمان في الأعمال**»، بل إن فيه ما يجعل الإيمان بالله أفضل الأعمال، وأن الإيمان هو العمل، ففي كتاب الإيمان باب من قال إن الإيمان هو العمل يروي البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل

---

(1) نفسه: 132-133.

أفضل فقال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم ماذا قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قيل: «**ثم ماذا**»؟ قال: «**حج مبرور**» (1).

ومن المهم هنا ما لفت إليه الشيخ من أن للإيمان وظيفة لا تنفك عنه، وهي أنه القوة الباعثة علىٰ العمل الصالح، القوة التي توجه الإنسان إلىٰ الله فيما يفعل وفيما يترك، وفي شئون حياته كلها... وفراغ القلب من هذه العقيدة معناه سقوط الأعمال التي تصدر عن الإنسان، وكونها بمنزلة أحط من أن تحظىٰ بثواب الله(2).

فالإيمان أساس العمل ومنبعه، والعمل الصالح تابع للإيمان ونابع منه، ومن هنا فإن الشيخ الغزالي لم يكن بدعا في بيان هذا الأمر، وإن كان قد ألح عليه سعيا إلىٰ إحيائه في الواقع الإسلامي، وإلا ففي القرآن الكريم والسنة الصحيحة من النصوص ما يجلِّي هذا الأمر، وحسبنا أن آيات الإيمان ـ في أكثرها ـ مرتبطة بالعمل: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [آل عمران: 57]. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾ [النساء: 57] . ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان: باب من قال إن الإيمان هو العمل.

(2) ليس من الإسلام: 155. دار الشروق. . ط السادسة.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾[المائدة] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد] . ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت] ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سبأ]. ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الشورى] . وهكذا في طول القرآن وعرضه.

لكن وقع على هذا المفهوم من الركام ما يحتاج إلى تنبيه وتجديد، وهو ما قام به الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ.

صلة المعاصي والطاعات بالإيمان:

ومن المسائل التي تناولها الشيخ أو أعاد تناولها بأسلوب جديد: صلة المعاصي والطاعات بالإيمان، ويناقش في هذا الصدد حديث: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»[1]، يقول: «وهذا الحديث يبين أن المعاصي منازل ومزالق، يسلم بعضها إلىٰ بعض، وأن الإيمان يتأثر بما يعرض للقلب من أحوال».

ويضع الشيخ في هذا السياق كذلك حديث النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّىٰ يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي الْقُرْآنِ: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**» [2].

---

(1) الحديث رواه مسلم بسنده عن حذيفة: كتاب الإيمان . باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وإنه يأرز بين المسجدين.

(2) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة: 13/ 333. حديث رقم: (7952)، =

وحسبنا أن الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ وضع في صحيحه بابا بعنوان: «**بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان**».

هل المعصية مرض؟

ومما طرحه الشيخ كذلك هذا التساؤل: هل المعصية مرض؟ ويقرر أنها فعلا مرض، مستدلا بآيات من القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾[الأحزاب]. وقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[الأحزاب]. يقول: «**وهذه الآية قد يكون معناها: وإذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض، فهي صفات متعاطفة يكشف بعضها خفاء بعض، أو يكون الذين في قلوبهم مرض صنفا آخر من الناس أشبهوا المنافقين في جزعهم من الأعداء وجبنهم عند اللقاء، وشكهم في أمر الرسول وعاقبته، فالتحقوا بهم وصاروا لذلك منهم**»(1).

=وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده قوي»، وانظر عقيدة المسلم: 148-149، والآية هي رقم 14 من سورة المطففين.

(1) عقيدة المسلم: 160.

ويرىٰ الشيخ الغزالي أن أولىٰ الأمراض النفسية ظفرا بالرحمة والعطف في دين الله، هي الأمراض التي تصيب الإرادة الإنسانية في محاولاتها المتكررة المتعثرة أن تصل إلىٰ الكمال المنشود، فإن المرء إذا طلب السمو بنفسه عن الدنايا، لاحقتْه من طبيعته الأرضية نزعاتٌ شتىٰ قد تُزِلُّهُ عن الخير، حتىٰ يكاد ييأس من بلوغه، فتمرض إرادته، ويَضْعُف عزمُه، وهنا يتدخل الدين بتعاليمه ليعيد إلىٰ الإرادة صحتها وقوتها، حتىٰ تسعىٰ بصاحبها إلىٰ الكمال ما دام حيا[1].

هذه وقضايا أخرىٰ نرىٰ فيها تجديدا في العرض، وتضمينًا في مباحث دراسة العقيدة، تناولها الشيخ الغزالي، مثل المسوِّغ لوجود الحياة وفنائها، والعلاقة بين النبوة والعبقرية وغير ذلك[2].

❊ ❊ ❊ ❊

(1) نفسه: 161.

(2) نفسه: 213-215، 190-195.

سابعًا: ضرب أمثلة مُحَسَّة من الواقع المعيش

وقد مر في استشهادات سابقة ما يؤكد أن الشيخ يعتمد في تقريره للحقائق وبرهنته على المسائل ـ على أمثلة حية يلمسها الناس في الواقع المعيش، ومما سبق مثال الزهرة بألوانها المختلفة التي تنبت في الأرض السبخة، وتنظيم حركات المرور في القاهرة مثلا، وإعداد الثوب بالخيط والإبرة، وغير ذلك.

ولضرب الأمثلة الحية الحاضرة في حياة الناس أثرٌ كبير في إقناع العقل وطمأنة القلب، وهذا منهج قرآني؛ حيث إن الأمثلة الموجودة في القرآن مستقاة مما يراه الناس، سواء في السموات أو في الأرض.

والإنسان بطبيعته لا يقتنع غالبا إلا بما يراه وما يحسه، حتى في قضية الثواب والعقاب لا يرتدع إلا بما يراه، ولا يرغب إلا فيما أمامه، ومن هذا الباب: «**إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**»[1]، ومن هنا ذهب كثير من الملاحدة إلى إنكار البعث،

(1) كلمة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذكر السيوطي في الدر المنثور: 4/ 199. نحوه من قول عمر بن الخطاب، وعزاه للخطيب البغدادي، وذكره ابن كثير مرفوعا في تفسيره: 5/ 111. دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية. 142هـ – 1999م. وانظر البداية والنهاية: 2/ 301. طبعة هجر بتحقيق التركي. الطبعة الأولى. 1417هـ.

وقالوا: ليس للكون إله، والحياة مادة، وما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر، وما نحن بمبعوثين.

وقد انصب اهتمام الشيخ في ضرب الأمثلة المبرهنة والمثبتة للحقائق علىٰ ما هو مرئي وملموس، ويضاف إلىٰ ذلك لم تكن أمثلته معقدة أو يراها قوم دون قوم، أو تُفهم في مكان دون مكان، إنما ذكر أمثلة سهلة ميسورة يراها كل الناس، ويقتنع بها كل فريق، وهذا منهج قرآني فريد، وهذه بعض نماذج مما كتب الشيخ:

المثال الأول: ليس كمثله شيء

ففي سياق الحديث عن تنزيه الله تعالىٰ عن مشابهة المخلوقات وأنه ليس كمثله شيء، يقول: «**وصف الله ـ عز وجل ـ نفسه بصفات كثيرة من الصعب إدراك حقيقتها علىٰ النحو الذي ندرك به أمورنا المعتادة، بل هذا مستحيل! من أين للتافه أن يعرف كنه العظيم؟ إن النملة لا تعرف حقيقة الإنسان، فحدود عالمها الذي تعيش فيه تقفها دون ذلك، والطفل ـ في المرحلة الأولىٰ من عمره ـ لا يعرف ما هي الرجولة، ولا ما يصحبها من سعة عقل، واستحكام إدراك. بل إن الإنسان عاجز عن إدراك حقيقة الوجود المادي الذي يعيش فيه، فكيف يعرف ما وراءه من غيوب؟!**» [1].

(1) عقيدة المسلم: 37.

فانظر كيف انتقل بالإنسان من المقارنة بينه وبين الله تعالىٰ، إلىٰ استحالة إدراكه ما هو أصغر منه؛ ليكون من باب أولىٰ ألا يدرك الإنسان ما هو أعظم منه، من خلال أمثلة حية معيشة يعرفها الخاصة والعامة.

المثال الثاني: إثبات الخلق لله

وفي باب إثبات الخلق لله يقول: قد يشرف المهندسون والبناءون علىٰ تشييد عمارة ضخمة، ثم ينفضون أيديهم منها، أو يموتون عنها، وتبقىٰ العمارة بعدهم أمدا بعيدا قائمة الجدران مستوية الأركان، إن هذه العمارة لم تخلق من عدم، والفَعَلة فيها لم يزيدوا أن ضموا حجرا حجرا، ثم انتهىٰ عملهم إلىٰ هذا الحد. أما بناء هذا الكون الفسيح، وتشييد سقفه المحفوظ، وتمهيد أرضه وتهيئتها للعمران، فهو عمل آخر أساسه من الإبداع المطلق[1]. وهذا تصوير قائم علىٰ ما يسمىٰ دليل الأَوْلَىٰ الذي يستخدمه الشيخ كثيرا، كما أنه من واقع الناس المحسوس.

المثال الثالث: البشرية بين الطفولة والنضج

وفي بيان أن البشرية في طفولتها لم تكن تنقاد أو تقنع إلا بالمعجزات الحسية، ثم أراد الله لها لما كبرت وشبت وبلغت

(1) نفسه: 36.

أشدها أن تستخدم عقلها، يقول الشيخ في تشبيه معيش: إن المرء في طفولته يعتمد علىٰ أبيه دائما في جلب كل خير وإتمام كل عمل، أفليس من حق الأب إذا رأىٰ ابنه جاوز الطفولة أن يضربه علىٰ يديه، ويتركه يتجشم وحده مشقة السعي، واقتحام المستقبل، وتحمل أعباء الرجولة؟ هكذا صنع الله مع عباده، لقد أرضىٰ الإنسانية في طفولتها بألوان صارخة من الخوارق، حتىٰ إذا اشتد عودها واستوىٰ فكرها، تركها لتستخدم مواهبها الفكرية، ولتتبين الصواب والخطأ، فإما هلكت عن بينة أو نجت عن بينة[1].

المثال الرابع: بين الإيمان والعمل

وفي علاقة الإيمان بالعمل يبين الشيخ أن المرء إذا غمغم بين شفتيه بكلمة التوحيد، ظن أنه تحصن وراءها، وأصبح يسيرا عليه ألا يقوم إلىٰ واجب، وألا ينتهي عن محرم، ويضرب علىٰ هذا مثالا واقعيا، فيقول: «**ولو فرضنا أن حزبا ما تقدم إلىٰ الناس، وقد أضاف إلىٰ جملة المواد التي تبين للجماهير منهاجه وتوضح أغراضه ـ مادةً أخرىٰ تصرح أو تلمح بأن لكل منتمٍ للحزب ألا يعمل بمبادئه وألا يتقيد بتعاليمه، لقال الناس أجمعون: هذا هو**

(1) نفسه: 188.

العبث والمجون! فكيف نتهم الإسلام بأنه يحمل في ثناياه ما يهدمه؟!»[1].

المثال الخامس: خطورة عقيدة الجبر

وفي سياق خطورة عقيدة الجبر التي تطوح بالوحي كله، وتزيف النشاط الإنساني، وفي بيان علم الله بكل شيء، وأنه علم مستيقن لا يتخلف؛ لأنه يستوي عنده الماضي والحاضر، يقول الشيخ: «**قد يقول لك الأستاذ بعدما خبر تلامذته في قاعة الدرس: إنني أعتقد أن فلانا سوف ينجح، وفلانا سوف يرسب، ثم يعقد الامتحان آخر العام، ويدخله الطلاب، فإذا رأْيُ الأستاذ يتحقق، فيقول لك مباهيا: إن كلامي لا يقع علىٰ الأرض، كان لابد أن يتحقق ما قلت. هل معنىٰ ذلك أن رأي الأستاذ هو الذي أنجح هذا وأسقط ذاك؟ كلا، إن ذلك نجح بجهده، وذاك سقط بلعبه، وما قول الأستاذ إلا تصوير لصدق حكمه**»[2].

وهذه الأمثلة المحسة والملموسة من شأنها أن تقود إلىٰ اليقين، وتقود إلىٰ الله، وترسخ الإيمان به، فالدين يتضمن جانبا من الإيمان بالغيب، وهو كذلك يتضمن جوانب من عالم الحس والحركة، ومن هنا فإن الإيمان ليس إيمانا بالوهم ولا إنذارا

(1) نفسه: 131-132.

(2) المحاور الخمسة: 33.

بالفوضىٰ، وأفعال المسلمين التي تنافي ذلك شيء غير الإسلام الذي يقوم علىٰ احترام العقل ونبذ التخامين والأحداس، وعلىٰ إعظام الكون ولفت النظر إلىٰ ما في بنائه من روعة وجلال، وعلىٰ إيقاظ الضمير وجعله مهيمنا علىٰ الحركات والسكنات[1].

❊ ❊ ❊ ❊

(1) راجع ركائز الإيمان: 88، وراجع نظرات في القرآن: 51-52. دار نهضة مصر.القاهرة. ط سادسة. 2005م.

ثامناً: تصويب معاني بعض النصوص والمفاهيم

وتصحيح المفاهيم المغلوطة وإبراز حقيقتها وجوهرها من معالم التجديد في كل علم؛ حيث يعود بالعلم إلىٰ منابعه الأولىٰ، ويزيل ما ران عليه من غيوم في الرؤية، أو غبش في التصور، وهذا ما صنعه الشيخ الغزالي - يرحمه الله - في علم التوحيد.

ومما يجدر ذكره أن الشيخ مع تصحيحه لهذه المفاهيم يوظفها توظيفا حسنا من الناحية الدعوية، فيبرز للدعاة كيفية الاستفادة من تصحيح هذه المفاهيم دعويا، وهذا ما سوف يتضح من الأمثلة التي نذكرها فيما يلي:

المثال الأول: الكافر وقبول العمل

ففي سياق أن الكافر لا ينفعه عمل صالح مهما كان هذا العمل؛ لأنه يفتقر بكفره إلىٰ الأصل الذي يقوم عليه قبول العمل؛ ولا يعترف بالمجازي الذي يجازي علىٰ هذا العمل؛ يقول الشيخ: «**إن هذه الحقيقة تولَّد عنها خطأٌ شائع ألحق بالإيمان وأهله ضررا بالغا، فقد فهم العامة أن حسن الصلة بالله - وهو فضيلة بيقين - يجبر النقص في بقية الواجبات المفروضة، ثم تدرَّج هذا الفهم إلىٰ أن هذه الواجبات يمكن أن تتلاشىٰ، ويغني الإيمانُ**

المجردُ عنها. وانضم إلىٰ هذا الوضع أن الذين انحرفوا عن الإيمان، ونسوا الله، أتقنوا طائفة من الأعمال الإنسانية، والفنون الحيوية، وسبقوا بها سبقا بعيدا». ويبين الشيخ خطر هذا التناقض قائلا: «**وعندما قام في العالم هذا التناقض اهتزت قضايا الدين، وتخاذلت صفوف المؤمنين، ونجمت في أرجاء الدنيا فتن عاصفة، والأمر بحاجة إلىٰ أولي الألباب يتداركونه بصدق الفهم ولطف العلاج**»[1].

المثال الثاني: حديث البطاقة

ومن تصحيح الشيخ لبعض المفاهيم التي تستفاد من بعض الأحاديث النبوية محدودة المعنىٰ والمجال، أن بعض الوعاظ والدعاة ـ ولاحظ التوظيف الدعوي ـ يسيئون فهمها وتطبيقها، وضرب لذلك مثلا بحديث البطاقة الذي رواه الترمذي بسنده عن عَبْد اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَارَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَارَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ**

---

(1) عقيدة المسلم: 126 _ 127.

لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، فَيَقُـولُ: احْـضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَارَبِّ، مَاهَـذِهِ الْبِطَاقَـةُ مَـعَ هَـذِهِ الـسِّجِلَّاتِ! فَقَـالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّـةٍ وَالْبِطَاقَـةُ فِـي كَفَّـةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ» (1).

ثم يقول الشيخ: هذا حديث مثير الدلالـة، وهـو لـو أخـذ علىٰ ظاهره يضع عن الناس شتىٰ التكاليف الإلهية، ويُبطل قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يونس] .

يقول الشيخ: «**وعندي أن هذا الحديث ـ إن استقام سنده ـ إنما يصلح في شخص مشرك، قضىٰ حياته في الفساد، ثم آمن قبل أن يحين أجله بقليل، فلم يستطع بعد إسلامه أن يبقىٰ مدة يُصلح فيها ما مضىٰ. والحديث بهذا ينوه بما لخاتمة الإيمان من قيمة، وما لتوحيد الله من منزلة. أما إطلاق هذا الحديث وأشباهه بين العوام أو بين الناشئة دون وعي فهو هدم للدين كله، وهو الأساس لتكوين طوائف من المتدينين تحط من قدر الإيمان وأثره**» (2).

(1) سنن الترمذي: أبواب الإيمان عن رسول اللّه ﷺ . باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا اللّه، وقَالَ أَبُو عِيسَىٰ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

(2) عقيدة المسلم: 130.

وكلام الشيخ ـ يرحمه الله ـ في هذا الحديث يستحق التأمل والنظر؛ حيث لم يجعل ما جاء فيه حكما عامًّا من أحكام الإيمان، وإنما تمثيلٌ لمدىٰ رحمة الله وعفوه، ومن ثم فلا يصلح فتوىٰ عامة تُلقىٰ علىٰ جماهير المسلمين، وإنما هو لحالة ما، فلا تُعمَّم ولا تنطرد.

وما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَىٰ الرَّحْلِ قَالَ: «**يَا مُعَاذ بْنَ جَبَلٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا**» [1].

يقول الشيخ: بهذا الحديث وأمثاله تتعلق العامة في نقض بناء الإسلام وهدم أركانه، والتهوين من خطر العمل وآثاره، وهو تعلق باطل مردود. وينقل الشيخ عن أهل العلم أقوالا تقضي بأن هذا محمول علىٰ أنه كان في ابتداء الإسلام حين كانت الدعوة إلىٰ

---

(1) صحيح البخاري: كتاب العلم. باب: من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، وتأثما هنا تعني: خوفًا من وقوعه في الإثم بكتمان العلم، بل بكتمان حديث رسول الله ـ ﷺ.

مجرد الإقرار بالتوحيد، فلما فرضت الفرائض، وحُدَّت الحدود نسخ ذلك، وينقل رأيا آخر يقضي بأن هذه الإطلاقات مقيدة بنصوص أخرىٰ، وهذا الظاهر ليس هو المراد من الأحاديث لورود مئات من النصوص الأخرىٰ من الكتاب والسنة تربط الإيمان أوثق رباط بأعمال معينة، ومن هذه النصوص التي أوردها الشيخ، وسعىٰ إلىٰ تصحيح مفهوما، حديث النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»[1].

فهذا الحديث أحصىٰ أعمالا لم تذكر في حديث النطق بالشهادتين، وهو تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[التوبة]، وقوله: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة].

ثم يقول الشيخ: إن النطق بالشهادتين بداية لما بعده من اعتقاد وعمل، لا ما تحسب الأبصار الكليلة والهمم القاصرة من أن

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان. باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ﴾[التوبة:5].

مجرد النطق فيه الكفاية والغناء. وحروف هذه الكلمة ـ كلمة التوحيد ـ منافذ تُفْضِي بالإنسان إلىٰ ساحات رحيبة، وآفاق ممتدة يشرب القلب فيها حقيقة التوحيد الخالص كلما سجد لبارئه وبادر إلىٰ مرضاته، ونفر من مساخطه، وأدىٰ الواجب وترك المحرم، وأدرانُ الشرك ليست كلمةً تلوِّث الفم وحده حتىٰ تطهرها كلمةٌ مقابلة ينطق بها الفم، ولكن الشركَ تَوَجُّهُ الفؤاد لما دون الله، وعملُ الجوارح لغير الله [1] .

المثال الثالث: ارتكاب الذنب والتوبة

وفي سياق آخر يبين الشيخ ـ يرحمه الله ـ أن المؤمن إذا أخطأ أو أذنب في حق الله، فإن الله يغفر له إذا تاب بصدق، ما دام مؤمنا يقوم بفرائض الله وينتهي عن محارمه، وفي مثل هذه الحالات يساق ما رواه مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي**

(1) عقيدة المسلم: 135ـ137، وانظر بيان الشيخ وتصحيحه لمفاهيم في نصوص أخرىٰ وإبراز أهمية العمل ومكانته: 139ـ142.

ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» [1].

يقول: «هذا الحديث وأمثاله مما يفتح مصاريع التوبة علىٰ كثرة العِثار، والمراد منه حفز الهمم إلىٰ الصالحات، والتقصي عن دائرة الجريمة، مهما حدث من الإنسان، ورفْع أنظار البشر إلىٰ أعلىٰ كلما نكسها الشيطان. وليس المراد منه ـ ألبتة ـ ما يفهمه سفهاء العامة من تحقير الجرائم، وتهوين السيئات، وإغراء العصاة بالجرأة علىٰ المخالفات واستباحة الحرمات، فهذا المعنىٰ نقض لحقيقة الرسالة الهادية، وتجاهل وقح لآلاف الأحاديث المرهبة عن ارتكاب الذنوب، والتفريطُ في الأعمال الصالحة ـ بناء علىٰ فهم مُعوَجّ لهذه الأحاديث ـ هو ضلال مبين»[2].

وهكذا يمضي الشيخ مع هذه المفاهيم يصححها بالجمع بين

(1) صحيح مسلم: كتاب التوبة . باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة.

(2)عقيدة المسلم: 146، وانظر مفهوما آخر يصححه الشيخ عن الشفاعة بأنها لن تدخل الكافر الجنة، أو أن يأخذها بعض الجهال مبررا لارتكاب المحرمات والإصرار عليها، بل تدرك قوما من المسلمين في النار فتنقذهم مما يعانون من بلاء. انظر عقيدة المسلم: 221 ـ 223، ومفاهيم أخرىٰ في المحاور الخمسة: 33–38، ومائة سؤال: 297.

النصوص التي يشرح بعضُها بعضًا، ويقيد بعـضُها إطـلاق بعـض، ملتمسًا من ذلك الدروس والعبر التي تعد نبراسًا للدعاة، ووميضًا يبرق للعاملين.

❋ ❋ ❋ ❋

مصادر غرس العقيدة الإسلامية عند الشيخ

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم كان مصدر الإلهام الأول لدى الشيخ محمد الغزالي في صياغته للعقيدة الإسلامية، وما تقتضيه من أفعال، وما يترتب عليها من آثار وما وضعت لتحقيقه من مقاصد، وتلى ذلك النصوص الصحيحة للسنة النبوية المطهرة.

يضاف إلى ذلك أن ما كتبه الشيخ يعتبر امتدادا متعمقا ومتوسعا ومتطورا لمحاولة الإمام محمد عبده في رسالة التوحيد التي نرى فيها العقائد مرتبطة بوظائفها في واقع الإنسان، ونصرة الإسلام للعقل وتحريره من الخرافات، وتظهر فيها براءة الإسلام من الكهانة وتقديس الماضي لمجرد أنه ماض، فالسبق في الزمان ليس آية من آيات العرفان[1].

وقد قال الشيخ الغزالي في سياق الحديث عن الخلاف القديم بين السلف والخلف في هذا الموضوع: «**وقد حاول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد التي ألفها في العقائد أن يجعل الخلاف**

(1) راجع رسالة التوحيد للإمام محمد عبده: 21-23. تحقيق ودراسة د. محمد عمارة. ط 3. 1989م. بدون بيانات.

لفظيا بين شتىٰ الخصوم! وأن ما ينكره هؤلاء غير ما يقره أولئك؛ إذ الكل متفقون علىٰ تنزيه الله وتقديس ذاته، والحق أن الخلاف كثيرا ما يكون ضربا من ضروب الجدل السخيف أو اللعب بالألفاظ»[1].

وبالإضافة إلىٰ أنها امتداد وتوسيع لمحاولة الإمام محمد عبده، فهي تأثر - وامتداد في الوقت ذاته - لما كتبه الشيخ حسن البنا في مجلة «**الشهاب**»، وجريدة «**الإخوان المسلمون**»، حول العقيدة والتوحيد.

وإذا راجعنا تراث الإمام حسن البنا في العقيدة لأدركنا تمام الإدراك أن المعالم المنهجية التجديدية التي رسمت منهج الشيخ الغزالي في تناول مسائل العقيدة هي في إطار المعالم المنهجية التي تناول بها حسن البنا العقيدة الإسلامية.

فالاستقاء من نصوص القرآن الكريم أولا، والسنة النبوية ثانيا هو أساس بنىٰ عليه حسن البنا تناوله لمسائل العقيدة، يقول: «**أعتقد أن من واجبنا أن نعود سريعا إلىٰ ما كان عليه سلفنا الصالحون، وأن نستقي العقيدة من هذا النبع الصافي الذي لا لبس فيه ولا غموض**» [2].

(1) المحاور الخمسة: 17.

(2) الله في العقيدة الإسلامية: 8-9.

ويقول مؤثرا عدم التعمق في ألفاظ الكلاميين ومصطلحاتهم: «الاعتماد علىٰ طريقة القرآن الكريم، والرسول -ﷺ- في توصيل العقائد الدينية إلىٰ النفوس، واستيلائها علىٰ المشاعر والقلوب دون تعمق في الألفاظ أو تشعب في البحوث، أو إيراد للآراء والمذاهب أو خوض في مصطلحات الفلاسفة والمناطقة والكلاميين والجدليين، وتلك طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم»[1].

ويقول: «كانت العقائد عند أسلافنا عواطف مستقرة في القلوب، ومشاعر مستولية علىٰ النفوس، فلما أن صارت عندنا جدلا وكلاما، ضعف إيمان الأمة، وتسرب إلىٰ دينها الخلل والوهن» [2].

وفي الجمع بين العقل والنقل يقول البنا في الأصل التاسع عشر من الأصول العشرين: «وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا في القطعي، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي ، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولىٰ بالإتباع حتىٰ يثبت العقلي أو ينهار».

(1) رسالة العقائد: 4.

(2) رسالة العقائد: 5.

ويعلق د. عصام البشير علىٰ هذا الأصل قائلا: «**وهذا خلاصة ما انتهىٰ إليه أهل التحقيق في هذه المسألة**» [1].

وقد استفاد حسن البنا من نتائج العلم التجريبي، وركز علىٰ أثر العقيدة في النفوس، وبنائها لقلوب الأمة.

وهذا مجمل ما تأثر فيه محمد الغزالي بحسن البنا.

❊ ❊ ❊ ❊

(1) منهج الإمام البنا في العقيدة: 15.

كلمة أخيرة

هكذا تمثلت المحاور المنهجية والتجديدية في تناول العقيدة عند الشيخ الغزالي؛ حيث تركزت في هذه المعالم التي ألح الشيخ فيها علىٰ معانٍ معينة، أبرزُها تجنب الجدليات والكلاميات التي تذهب بمقاصد العلم، والعودة به إلىٰ نصوص الكتاب والسنة والأخذ عنهما مباشرة، والإفادة من النتائج الصحيحة والثابتة للبحث العلمي، وتوضيح حقائق الإيمان وتقريبها بأمثلة واقعية ملموسة في متناول الجميع، مركّزًا علىٰ علاقة الإيمان بالعمل التي دفع من أجلها كثيرا من التوهمات، وعديدا من مغلوط المفاهيم والأفكار التي تقضي علىٰ جوهر الإسلام وتدمر حقيقة الإيمان، مستخدما في ذلك كله أسلوبا سهلا ميسورا يجمع بين إقناع العقل بالحجة والبرهان وضرب المثل، وبين الطرق علىٰ أوتار القلوب بما يعرضه من آيات باهرة في الأنفس والآفاق.

والجهود التي بذلت في تنقيح هذا العلم وتنقيته من الشوائب التي شابته، جهود طيبة إلىٰ حد كبير إذا ما قورنت بغيره من الجهود في علوم أخرىٰ ضمن العلوم الإسلامية.

ولا يزال هذا العلم بحاجة إلىٰ التأكيد والإلحاح علىٰ هذه المعالم ـ وغيرها ـ مما أكد عليه الشيخ محمد الغزالي فيما ذكرناه، كما أنه في حاجة إلىٰ أن يقوم العلماء بدورهم في التوعية والتحذير من أن نكرر ـ كما يحدث كثيرا في واقعنا المعاصر ـ قضايا كلامية جدلية وخلافات الفرق المذهبية التي مضىٰ عصرها، ومات أطرافها، بل علينا أن ننشغل بما يُفَعِّل العقيدةَ في قلوبنا، ويُظهر آثارها علىٰ أخلاقنا وسلوكنا وممارساتنا.

* * * *

أهم المراجع

1- الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني. جمع وتحقيق ودراسة د. محمد عمارة. دار الشروق.

2- البداية والنهاية لابن كثير. طبعة هجر بتحقيق التركي. ط1. 1417هـ.

3- رسالة التوحيد للإمام محمد عبده. تحقيق ودراسة د. محمد عمارة. ط 3. 1989م.

4- رسالة العقائد. حسن البنا.

5- ركائز الإيمان بين العقل والقلب. دار الشروق. ط 2. 1423هـ/ 2002م.

6- سنن الترمذي. أبو عيسىٰ الترمذي.

7- صحيح البخاري. أبو عبد الله البخاري.

8- صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج.

9- عقيدة المسلم. محمد الغزالي. دار الدعوة. الإسكندرية. ط4. بدون تاريخ.

10- الله في العقيدة الإسلامية. حسن البنا. دار الشهاب.

11- ليس من الإسلام. محمد الغزالي. دار الشروق. ط6. بدون تاريخ.

12- المحاور الخمسة للقرآن الكريم. دار الشروق. ط 2. 1426هـ/ 2005م.

13- مائة سؤال عن الإسلام. محمد الغزالي. دار نهضة مصر. القاهرة. ط4. 2005م.

14- مسند الإمام أحمد. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين. مؤسسة الرسالة. ط2. 1420هـ..

15- مقالات الشيخ محمد الغزالي. جمعها عبد الحميد حسنين حسن. نهضة مصر. ط 4. 2005م.

16- منهج الإمام البنا في العقيدة. د. عصام البشير. بدون بيانات.

17- نظرات في القرآن. محمد الغزالي. دار نهضة مصر. ط. سادسة. 2005م.

* * * *

السيرة الذاتية للكاتب



وصفي عاشور علي أبو زيد.

مواليد محافظة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية، 11/ 6/ 1395هـ الموافق: 20/ 6/ 1975م.

عنوان المراسلة: wasfy75@gmail.com .

المؤهلات:

* يحفظ القرآن الكريم برواية مسندة إلىٰ حفص عن عاصم.

* حصل علىٰ درجة الدكتوراه بعنوان: «**المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي، دراسة تأصيلية تطبيقية**» في يوليو 2011م بمرتبة الشرف الأولىٰ من كلية دار العلوم جامعة القاهرة، وكتبت بعض الصحف والمواقع عن الرسالة ومناقشتها.

*حصل علىٰ ماجستير في الفقه والأصول من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بتقدير ممتاز، في مارس 2005م، بعنوان: «**نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية**»، وكتبت الصحف المصرية عن مناقشتها، وعن الكتاب حين صدر.

* حصل علىٰ «**تمهيدي ماجستير**» من قسم الشريعة الإسلامية بنفس الكلية والجامعة 1998م.

* حصل علىٰ ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من نفس الكلية والجامعة 1997م.

* حصل علىٰ إجازات مسندة في بعض كتب السنة ومصطلح الحديث، مثل: صحيح مسلم، مسند الدارمي، الأربعون النووية، ما لا يسع المحدث جهله، ألفية الحديث للعراقي، المنظومة البيقونية، شرحها للزرقاني، ألفية الحديث للسيوطي، قصيدة غرامي صحيح، شرحها لابن عبد الهادي، كتاب الأربعين في فضائل الصحابة، كتاب الأربعين في فضائل آل البيت.

* حصل علىٰ إجازة في العلوم الشرعية من فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي.

* كرمته وزارة الأوقاف الكويتية عام 2004م باعتباره أحد الكتاب المتميزين في مجلة الوعي الإسلامي.

* كرمته وزارة الأوقاف الكويتية: المركز العالمي للوسطية أعوام 2008م، 2009، 2010، 2011م، لإلقائه بعض المحاضرات والدورات لوفود الدعاة من البلاد الآسيوية، والإفريقية، والأوربية، وبرنامج علماء المستقبل لجهوده في البرنامج.

المؤتمرات الدولية:

1- شارك بورقة بحثية عنوانها: «**المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه، دراسة تحليلية**»، في المؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية دار العلوم بجامعة الفيوم بمصر المنعقد في الفترة: 13-14 صفر 1427 الموافق 13-14 مارس 2006م. تحت عنوان: «**العلوم العربية والإسلامية واستشراف المستقبل، نحو رؤية علمية منهجية حديثة**».

2- شارك ببحث بعنوان: «**رعاية المقاصد في منهج القرضاوي**». في تكريم العلامة الشيخ يوسف القرضاوي بالدوحة في29 جمادى الآخرة إلى 1 رجب 1428هـ، الموافق: 14-18/ 7/ 2007م في مؤتمر دولي بعنوان: «**الإمام القرضاوي... مع التلاميذ والأصحاب**».

3- شارك بورقة بعنوان: «**التدابير الوقائية لحفظ كيان الأسرة، قراءة في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها**»، في مؤتمر «**التفكير العلمي وقيم التقدم في الأسرة المصرية**». المنعقد في كلية الآداب ـ جامعة عين شمس . في الفترة من:7- 8 ذو الحجة 1428هـ الموافق 16-17/ 12/ 2007م.

4- شارك بورقة عنوانها: «**الحرية الدينية ومقاصدها في**

الإسلام»، في مؤتمر دولي بعنوان: «**الحرية الدينية ومواثيق وقوانين حقوق الإنسان**»، المنعقد في الجمهورية الجزائرية، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة، في الفترة 30 ربيع الثاني 2 جماد الأول 1429هـ الموافق: 5-7/ 5/ 2008م.

5- شارك بورقة عنوانها: «**معالم التجديد في علم التوحيد عند الشيخ الغزالي**»، في مؤتمر دولي بعنوان: «**المنهج النقدي في القرآن الكريم والمراجعات الفكرية للتراث الإسلامي**»، المنعقد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة السلطان مولاي سليمان بالمملكة المغربية بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومركز دراسات المعرفة والحضارة، والرابطة المحمدية للعلماء، والمجلس العلمي المحلي، وذلك أيم: 19- 20/ 6/ 1429هـ الموافق:24-26/ 6/ 2008م.

6- شارك بمحاضرة عنوانها: «**انتهاج الوسطية في التدين والحياة**»، في ملتقىٰ الشعوب الدولي الثاني بدولة الكويت، تحت رعاية وزير الأوقاف والشئون الإسلامية راشد الحماد، الذي أقيم في مسجد الدولة الكبير في الفترة بين: 20-24/ 2/ 2011م.

7- شارك بمحاضرتين عن: «**المقاصد العامة للقرآن الكريم: مسالك الكشف عنها. حجيتها. فوائدها**» في الدورة الرابعة لجائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته،

التي أقامتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت في الفترة 3-10 أبريل 2013م.

8- شارك بورقة بحثية بعنوان: «**مشاركة المرأة في العمل السياسي: مشروعيتها ومقاصدها**» في مؤتمر: «**الإصلاحات السياسية في الجزائر: المسار والأهداف**» الذي أقامه المجلس الشعبي الوطني في العاصمة الجزائرية في الفترة 10-11 يونيو 2013م.

9- شارك بورقة بحثية بعنوان: «**التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، في ظلال القرآن أنموذجا**»، إلىٰ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية – في مؤتمرها الدولي بعنوان: « **فهم القرآن: بين النص والواقع** » الذي تنظمه كلية أصول الدين – في الفترة: 4-5 ديسمبر 2013م.

10- شارك بورقة بحثية بعنوان: «**دفع الصائل، أو فقه التعامل مع البلطجية**»، في الندوة العلمية الأولىٰ لرابطة علماء أهل السنة بعنوان: «**نظرات في السياسة الشرعية في ضوء المستجدات الراهنة**»، المقام في اسطنبول في الفترة: 1-2/ 2/ 2014م.

11- شارك في المؤتمر العالمي الثاني لرابطة المنظمات النسائية العالمية بعنوان: «**الملتقىٰ العالمي لمواجهة تحديات**

الأسرة» الذي أقيم في مدينة اسطنبول يومي 7-8 ربيع آخر 1435هـ الموافق 7-8 فبراير 2014م، وشارك في ورشات العمل التي أقامها مركز «**باحثات**» لدراسات المرأة في اليوم الأول للتباحث حول إصدار وثيقة لحقوق المرأة وواجباتها في الإسلام على صورة مواد دستورية قانونية تعبر عن روح الشريعة ومقاصدها وتبرز موقفها من المرأة.

12- شارك بورقة بحثية بعنوان: «**التكوين العلمي للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، روافده وأثره في تكوين العقلية العلمية المجدِّدة**». في المؤتمر العلمي العالمي : «**الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطّاهر ابن عاشور وإعادة تأسيس العقل الفقهي الإسلامي**»، الذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة الزيتونة في الفترة 12-13 فبراير 2014م بمقر جامعة الزيتونة، بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته (12 أغسطس 1973م).

13- شارك بثلاثة محاضرات عن: «**كيف تغير نفسك من خلال القرآن الكريم، برنامج عملي من خلال محاكاة النماذج القرآنية**»، في الدورة الخامسة لجائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته، التي أقامتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت في الفترة 1-6 أبريل 2013م.

14- شارك بورقة بحثية بعنوان: «**القوة في السياسة الشرعية: عناصرها. ضوابطها. مقاصدها**»، في ندوة تطور العلوم الفقهية الثالثة عشرة، التي تقيمها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان بالعاصمة مسقط، في الفترة: 6-9 أبريل 2014م.

15- شارك ببحث عنوانه: «**أحكام الشريعة بين التعبد والتعليل**»، في دورة علمية بعنوان: (**إعمال المقاصد بين التهيب والتسيب**)، والتي تقيمها مؤسسات ثلاث: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، وكلية الآداب فاس سايس، ومركز المقاصد للدراسات والبحوث، في الفترة: 28-30 مايو 2014م.

خبرات العمل:

* عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
* عضو المكتب التنفيذي ومجلس الأمناء لرابطة علماء أهل السنة.
* عضو لجنة البحوث بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
* رئيس القسم العلمي في رابطة علماء أهل السنة.
* عضو هيئة تحرير مجلة المسلم المعاصر.
* عضو مؤسس في رابطة تلاميذ القرضاوي.
* عضو لجنة الموسوعة الفقهية بالمجلس الأعلىٰ للشؤون

الإسلامية (2012-2013م).

* عضو لجنة أصول الفقه ومقاصد الشريعة بالمجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية(2012-2013م).

* مستشار دعوي وإيماني لموقع إسلام أون لاين. نت.

* مستشار دعوي وإيماني لموقع الإسلام اليوم.

* عضو الجمعية الفلسفية المصرية منذ عام 2006م.

* باحث شرعي في المركز العالمي للوسطية منذ عام 2006م ـ 2012م.

* مدير وحدة التأصيل الشرعي بالمركز العالمي للوسطية 2009م.

* عضو الاتحاد العربي للإعلام الإلكتروني.

* المشرف العلمي علىٰ معهد بناء لإعداد العلماء (2012-2013م).

* شارك في إعداد معلمة القواعد الفقهية التابعة لمجمع الفقه الإسلامي – جدة.

* شارك في إعداد «**مدونة الأسرة**» للملكة العربية السعودية **(مشروع تقنين كل ما يخص الأسرة في ضوء الفقه الحنبلي والقوانين العربية الوضعية)**.

* شارك في إعداد «**موسوعة الفقه الإباضي**» التي تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في سلطنة عمان.

* أشرف وشارك في **تحرير عشرات الكتب** في الفتاوىٰ والفقه والأصول والدعوة والفكر الإسلامي للنشر علىٰ مواقع الإنترنت، وكذلك إعداد العديد من البرامج الدعوية والفقهية علىٰ أسطوانات ليزر، ضمن برامج شركة (RDI) «**الشركة الهندسية لتطوير نظم الحاسبات**».

* نشرت له الصحف والمجلات، والمجلات المحكمة، ومواقع الإنترنت **مئات المقالات والحوارات والأبحاث** في الفقه والأصول، والفكر والدعوة، والتربية، وشئون الأسرة، وغيرها.

* له عشرات الاستشارات الفقهية والدعوية والإيمانية علىٰ موقع إسلام أون لاين، وموقع الإسلام اليوم.

الأنشطة العلمية والدعوية:

1- يخطب الجمعة في مساجد وزارة الأوقاف المصرية والمساجد الأهلية، ويلقي الدروس منذ عام 1998م.

2- قدم محاضرات في المراكز الإسلامية بإيطاليا في ذو القعدة- ذو الحجة 1430هـ/ الموافق ديسمبر 2009م.

3- ألقىٰ محاضرة في نقابة الأطباء المصرية بعنوان: «**استلهام**

الفكر المقاصدي في المرحلة القادمة، فريضة وضرورة» في أبريل 2011م، أقامتها مؤسسة يقظة فكر بالتعاون مع المركز الثقافي بالنقابة.

4- ألقىٰ محاضرة عن «**الرسول القدوة**» في ندوة أذاعتها إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة في ربيع الأول 1433هـ.

5- شارك في دورة بعنوان: «**تدبر القرآن ... صوغ العقل والوجدان**»، أقامها مركز الرشد للتكوين العلمي والبناء المعرفي في فبراير 2012م، بالتعاون مع مكتبة مصر العامة في مدينة بنها بمصر.

6- ألقىٰ دورات متعددة عن «**الفكر المقاصدي وتفعيله في مجال الدعوة**» لوفود كثيرة من أوربا وآسيا وأفريقيا في الفترة: 2008-2012م والتي يقيمها المركز العالمي للوسطية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

7- شارك بمحاضرة في ندوة بعنوان: «**منهجية القرآن في الإصلاح والتغيير**»، بتاريخ 15 جمادىٰ الأول 1433هـ الموافق 7 أبريل 2012م، والتي أقامها مركز الرشد للتكوين العلمي والبناء المعرفي بالتعاون مع مكتبة مصر العامة في مدينة بنها بمصر.

8- ألقى دورة بعنوان مقاصد الشريعة ودورها في العمل الحزبي، بمقر حزب مصر القوية في مدينة «**ناهيا**» بمحافظة الجيزة بمصر في أكتوبر 2012م.

9- ألقى محاضرة بعنوان: مقاصد الشريعة والمتغيرات المعاصرة، في مركز الرشد للتكوين العلمي والبناء المعرفي، بمدينة بنها في مصر، في: 20/ 10/ 2012م.

10- ألقى محاضرة في 27 فبراير 2013م عن «**مقاصد الزكاة**» في ندوة بعنوان: «**الصدقات وأثرها في دعم المرافق العامة وتنمية المجتمع**»، أقامتها مديرية الأوقاف بالإسكندرية بالتعاون مع جمعية «**ابدأ**» لتنمية الأعمال، ورابطة علماء ودعاة الإسكندرية، وذلك لدعم مبادرة الإسكندرية منارة الشرق الأوسط.

11- ألقى محاضرتين موسعتين حول: «**مقاصد الشريعة رؤية تأصيلية تطبيقية**»، و«**مقاصد الشريعة رؤية تنزيلية في الواقع الأوربي**»، في دورة أقامتها هيئة العلماء والدعاة في ألمانيا بعنوان: «**مقاصد الشريعة وأثرها في الفقه والدعوة في الواقع الأوربي**» في مدينة فرانكفورت في الفترة 3-9 مارس 2013م، وخطب الجمعة في مسجد طارق بين زياد بفرانكفورت، وألقى محاضرة في مسجد عمر بن الخطاب بمدينة فيزبادن.

12- ألقىٰ دورة للأئمة والدعاة في محافظة المنوفية مركز أشمون أقامها المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية ورابطة علماء أهل السنة حول: «**الفكر المقاصدي وتفعيله في مجال الدعوة**»، 23 مارس 2013م.

13- أعطىٰ دورات في مقاصد الشريعة وتفعيلها في مجال الدعوة في مدينة أنطاكية التركية ومدينة اسطنبول خلال عام 2014م.

14- ألقىٰ محاضرة بعنوان: «**التدرج في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية: محدداته وأبعاده**»، في هيئة علماء فلسطين بالخارج بمركز معالم للدراسات والبحوث، في 25 يونيو 2014م.

15- قام بتقديم دورة لعلماء ديوان الوقف السني بالعراق، بعنوان: «**المقاصد الشرعية والسياسية**» في الفترة ما بين: 7-10 ديسمبر 2014م.

16- كان ضيفا في قنوات فضائية متعددة، منها: قناة الجزيرة، وقناة الصحة والجمال، وقناة الأقصىٰ، وقناة فلسطين اليوم، وقناة راعبة، وقناة مكملين، وقناة الشرق، بالإضافة إلىٰ إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة، وإذاعة البرنامج الثقافي في برنامج: «**تأملات في الأسماء**».

مقدمات لبعض الكتب:

قام بتقديم عدد من الكتب ، منها:

1- سورة الكهف، منهجيات في الإصلاح والتغيير. للأستاذ الدكتور صلاح الدين سلطان.

2- دور القرضاوي في تأصيل الوسطية وإبرازها. للأستاذ الشيخ أكرم كساب.

3- عمرو خالد بين مادحيه وناقديه. للأستاذ محمد نجاتي سليمان.

4- فقه السنن الربانية وموقف المسلمين منها بين الإعمال والإهمال. للأستاذ الدكتور رمضان خميس الغريب.

5- خارطة الطريق من يوسف الصديق. للأستاذ مصطفىٰ كمشيش.

6- مشروع الجواب الكافي: الغلو في الجهاد فكرا وممارسة. وحدة التأصيل الشرعي بمركز الوسطية بالكويت.

7- قصة موسىٰ وفرعون. للأستاذ محمد نجاتي سليمان.

8- عدة الدعاة الفضلاء في اختلاف الفقهاء. لمحمد مصطفىٰ عباس.

9- قصة الحرية في الحضارة الإسلامية. لمحمد أحمد عبد الجواد.

10- معالم السنن الربانية في الثورة المصرية المعاصرة. للأستاذ الدكتور رمضان خميس الغريب.

المؤلفات:

1- نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية (**رسالة ماجستير**).

2- في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري.

3- الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام.

4- مشاركة المرأة في العمل العام (**التعريفات. الضوابط. المقاصد. الشبهات. التحديات. نماذج للمشاركات. المجالات. الأدوار المعينة**).

5- المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه، دراسة تحليلية.

6- رعاية المقاصد في منهج القرضاوي.

7- كلمات في صناعة الداعية الفقيه.

8- منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة.

9- أهمية القرآن في حياة المسلم.

10- أسس التعامل مع القرآن الكريم.

11- محفوظ نحناح. رمز الإسلام المعتدل في الجزائر.

12- الجهاد في سبيل الله... مقاصد وآثار.

13- معالم الوسطية في الوقاية من العنف والتطرف.

14- القرضاوي الإمام الثائر، دراسة تحليلية أصولية في معالم اجتهاده للثورة المصرية.

15- مقاصد الأحكام الفقهية، تاريخها ووظائفها التربوية والدعوية.

16- الوحدة الوطنية في الإسلام: مفهومها. ضوابطها. مقاصدها.

17- بيان غير المسلمين لدينهم في مجتمعات المسلمين بين الجواز والمنع.

18- حفظ الأسرة في الإسلام، قراءة في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها.

19- المقاصد الجزئية: ضوابطها. حجيتها. وظائفها. أثرها في الاستدلال الفقهي(**رسالة دكتوراه**).

20- الآراء الأصولية للدكتور محمد عمارة. قراءة تحليلية نقدية.

21- أحكام الشريعة بين التعبد والتعليل، قراءة أصولية في تحقيق أقوال العلماء.

22- حق الأمة في الرقابة علىٰ الولاة. الأسس والمقاصد.

23- التكوين العلمي للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، روافده وأثره في تكوين العقلية العلمية المجدِّدة.

24- القوة في السياسة الشرعية. عناصرها. ضوابطها. مقاصدها.

25- مدخل لفهم سيد قطب .. قراءة مقاصدية.

26- الإمام يوسف القرضاوي .. وملحمة الإنتربول الدولي.

❊ ❊ ❊ ❊

الفهرس

❊ ❊ ❊ ❊